وقائع المؤتمر الدولي الأول

لمؤسسة الإمام زين العابدين عليه السلام للبحوث والدراسات

بالتعاون مع جامعة واسط

(الأبعاد التربوية والاجتماعية في تراث الامام زين العابدين عليه السلام)

المجلد العاشر

المحور الخامس – قضايا اجتماعية(مشاكل وحلول)

الفلسفة النفعية بين الأنانية والغيرية في الفكر الغربي و الفكر الإسلامي

– الإمام علي بن الحسين زين العابدين إنموذجاً -

م.م رقية حيدر طاهر القاضي

جامعة الكوفة / كلية العلوم السياسية

المقدمة

الْحَمْدُ للهِ الاوَّلِ بِلا أَوَّل كَانَ قَبْلَهُ، وَ الاخِر بِلاَ آخِر يَكُونُ بَعْدَهُ، وَله الْحَمْدُ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّد نَبِيِّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ الأُمَمِ الْمَـاضِيَةِ وَالْقُـرُونِ السَّالِفَةِ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لاَ تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَ إنْ عَظُمَ، وَ لا يَفُوتُهَا شَيءٌ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الكرام الطاهرين من الآن إلى قيام يوم الدين.

ان السؤال عن معرفة فلسفة وحقيقة الاخلاق لهو سؤال دأب الفلاسفة منذ عصر اليونانيين والى زمن الفلاسفة المعاصرين لمعرفته والاستفسار عنه، إذ إن أغلبية الفلاسفة يعتقدون أن هناك حقائق موضوعية للأخلاق الصحيحة، ودور الفيلسوف هنا يكمن في البحث عن هذه الأخلاقيات وأن ينشرها للناس، لأن الأخلاق هي قوانين الأفعال الإنسانية ومثلها العليا، كل هذه الأحكام أخلاقية في جوهرها وتفترض أنه هناك (ما ينبغي أن يكون) لترشيد حياة الإنسان وتقويم سلوكياته لعل من أبرز مدارس الأخلاق في الغرب هي مدرسة الإنجليزيين جيرمي بنتام (1748م-1832م) وجون ستيوارت مل (1806م-1873م) حيث طوّرا مفهوم اللذة وعُني به تحصيل أكبر قدر من السعادة وتجنب كل ما يمكن الإنسان تجنبه من الألم، ثم أعادا تدوير هذه الفلسفة فيما تسمى الفلسفة النفعية في تنظيراتهما تقوم الفلسفة النفعية على أن غاية كل الناس هي إدراك اللذة أو المنفعة وكل ما سوى ذلك مجرد وسائل لبلوغ غاية الاستمتاع، ان الفلسفة الأخلاقية النفعية البراغماتية قد توفر النفع _ظاهرياً _ في ميادين ولكنها تفرز الضرر في ميادين أخرى، وهذا شيء طبيعي في كل نظرية انسانية تبتعد عن منهج النبوات والوحي السماوي وإن كان فيها جزء من الحق، ترسخ هذا الاتجاه نحو الأفكار التي لها تطبيق عملي في دنيا الواقع وابتعد عن الإغراق في التنظير أو حفظ معلومات لا تفيد شيئا في الحياة العملية، هذا المذهب النفعي أو الذرائعي كما يوصف أيضا وإن أفاد حين ابتعد عن التنظير الكثير، الا أنه تطرف في الاتجاه المادي الذي لا يبالي بالمبادئ إذا كانت الفكرة تقدم له نفعا دنيويا، كما تطرف في تمجيد النزعة الفردية على حساب المجتمع، وقد رسم القرآن الحكيم الطريق العلمي لتربية الإنسان الفاضل مخاطبًا الفرد والمجتمع، فإذا كان المجتمع هو الأساس الأول الذي يقوم عليه بناء الدولة، فإن العناية بالفرد وهو لبنة في بناء المجتمع يصبح ضروريًا وأساسيًا إذا أردنا لهذا البناء القوة والمنعة فإذا أردنا الارتفاع بالمستوى الأدنى والأوسط إلى القمة، فعلينا البدء بالأخلاق لأنها أول الخيط الذي يصل بنا إلى الغاية، وقد وضع الإسلام فلسفة إصلاح المجتمع وتقويمه على قاعدتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك فإن القرآن يحدد الفضيلة ويسمو بالإنسان للارتقاء الأخلاقي المنشود، ويصنع له الخطة التربوية لبناء المجتمع الفاضل، ثانيًا- الفضيلة في العلاقات بين الأفراد، إهتم الدين الاسلامي اهتماماً بالغاً بالاخلاق الإنسانية وتهذيبها وتزكيتها، وذلك لأنها منطلق الأعمال والممارسات، فإذا صلحت، صلحت حياة الإنسان، وصلح تقدمه ورقيه وحضارته. وهذا ما يميز الدين عن العقائد والأيديولوجيات الأخرى التي تؤمن برقي المجتمعات وتقدمها وتهمل الإهتمام بالنفس الإنسانية وتقويمها، والأزمة الأخلاقية السلوكية التي تعيشها المجتمعات الغربية والمادية والمتغربة، هي نتيجة البعد عن الدين، أو بقاء رسمه في النفس فقط، فان من أوليات الدين والالتزام به: تهيئة النفس، بتهذيبها، وإصلاحها، ومجاهدتها، الإيثار هو نكران الذات وتقديم الآخر مهما كان لغرض بيان هدفية التعليم الديني وبيان الأخلاق الدينية على واقعها من فعل المعصوم للإنسان الكامل والأرقى في الجنس البشري، إن فعل المعصوم فعلًا عقلانيًّا يؤيّده العقل والشرع وبه ترتكز في أذهان الناس و أن المتتبع والدارس لحياة الإمام زين العابدين عليه السلام يجد نفسه أمام شخصية عظيمة تألقت في سماء التاريخ من خلال خصائصها وصفاتها والدور الذي أدته هذه الشخصية العظيمة في الأمة على مختلف الأصعدة والاتجاهات سواء كان في جانبه العلمي أم التربوي أم الاخلاقي أو العبادي وترسيخ القيم والمبادئ ونصرة المظلوم والانتصار للحق وهذه كلها اجتمعت في شخصية الامام السجاد إذ أن الإمام عليه السلام قام بإرجاع الأمة إلى أصالة الذات والنفس وجعلها منطلق التغيير حيث ربما يغفل الانسان جانبه الذاتي والنفسي.

أهمية الدراسة: ان الإنسان وفقًا للنظرية النسبية يسير في دروب مظلمة يضيع فيها الحق والباطل ويختلط الخير بالشر، إنها غابة حالكة السواد لا يوجد فيها حكم مطلق واحد يرشد الناس إلى الصحيح والخطأ، إن السائر في درب النسبية سينتهي به المطاف لا محالة إلى أن يجعل كل وجهات النظر متساوية، وأمام هذا التيه السرمدي نلاحظ وبشكل واضح ماذا خسر العالم بتخليه عن الإسلام؟ ومن هنا ومن هذا المنطلق تحديداً شرعنا في هذا البحث لبيان اوجه الفرق الكبيرة بين الفلسفة الاخلاقية الغربية والاخلاق من المنظور الاسلامي ومن هي الفلسفة الاكثر واقعية والمتلائمة مع المجتمع والطبيعة البشرية وبالتالي تكون فائدة هذه، وسنسلط بوصلة بحثنا على الانموذج الاسمى في الفلسفة الاخلاقية الاسلامية ألا وهي المدرسة الاخلاقية التابعة الى الامام زين العابدين (عليه السلام) من خلال تسليط الضوء على احاديث وحكم وخطب الامام (عليه السلام).

مشكلة البحث: إن ظاهرة الأخلاق النفعية أضحت أمراً مقلقاً ولافتاً للنظر في هذا العصر، وقد أدت إلى نتائج خطيرة في التعامل بين الأفراد والجماعات، بل أصبح المرء يصاب بإحباط شديد وخيبة مريرة لما يجده من ازدواجية عند صنف من الناس، وتزداد الغرابة عندما نلمس ذلك عند بعض مَن يتخذون الناس وسيلة لمآربهم الخاصة، وبعد أن يضمحل أثر الإيمان في النفوس، يستمد الناس قيمهم في التعامل من الهوى والمصلحة الشخصية، بل تصبح هذه المصلحة هي الشاغل الأول لأمثال هؤلاء، و أن هذه النزعة، نزعة الأنانية والنفعية غزت مجتمعاتنا بعد أن سادت أخلاق الغربيين من خلال غزوهم الفكري لبلادنا، ورغم ذلك كله فقد فتن بعض المسلمين في القرن الحالي بحضارة أوربا وظنوا أنها ذات ركائز تصلح لأن يُقتدى بها، ونسي كثير منهم أن يميزوا بين التقدم المادي والتخلف العقدي والأخلاقي، فتنوا ببعض ما يبدو من صدق وأمانة حيناً، لأنها عند القوم تؤمن لهم ثقة ووقتاً، إلا أن أخلاقهم هذه ستتغير إذا لاحت منفعة أشد، ومصلحة أقوى، فالأخلاق النفعية سمة بارزة من سمات الجاهلية المعاصرة، ونبين الهدف الاسمى من التربية الإسلامية من خلال دراسة حياة الامام علي بن الحسين (عليه السلام) والذي يعد المدرسة الأخلاقية الكاملة وفقاً لما جاء في تعاليم الوحي والقرآن الكريم.

منهج الدراسة: اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي؛ من خلال معرفة الفلسفة النفعية في الاخلاق الغربية ودراسة أبعاده ومعرفة اهم الانتقادات الموجهة لها، ومن ثم عرجنا على الفلسفة النفعية من المنظور الاسلامي وبينا كذلك رأي الشريعة المقدسة للأنانية والغيرية وصورة هذه المفاهيم والتطبيق العملي لها في القرآن الكريم لكونه من الدستور الاخلاقي الامثل على مدى العصور وفي كل البقاع في العالم.

أهداف الدراسة: فتتمثل بما يلي:

1. بيان الفلسفة النفعية من المنظور الغربي ومعناها وابعادها واهم الانتقادات الموجهة لها، مع بيان اثرها ومساؤوها العائد على الفرد والمجتمع.

2. تأكيد الشريعة الاسلامية والمتمثلة بالدستور الاخلاقي الاول (القرآن الكريم) واحاديث النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة الطاهرة من اهل بيته (عليهم السلام) على ان يكون وجود الانسان في هذه الحياة نفعياً (بالمعنى الاسلامي) اي ذا منفعة لنفسه اولاً ولمجتمعه ثانياً، وذلك من خلال تسليط بوصلة بحثنا على احاديث وخطب مولانا الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) والذي يعد مدرسة اخلاقية اسلامية متكاملة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

3. بيان اهتمام وحرص التعاليم والثقافة الاسلامية والقرآنية بالمشاريع ذات الأثر النفعي على جميع المستويات ذات التأثير المجتمعي الفعال والذي ركزت فيه الشريعة على البناء الروحي المعنوي الامر الذي فغلت عنه الثقافة الغربية في فلسفتها الاخلاقية المادية من خلال تناول الحكم والاحاديث والخطب للامام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) والتي تعد المدرسة الاسلامية الاخلاقية الاسمى والمكملة لما جاء من تعاليم القرآن الكريم والامتداد الطبيعي للمدرسة الاخلاقية المحمدية.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: تبين من خلال البحث ان النفعية أخلاق غربية بنيت على مذاهب فلسفية تنسجم مع تطلعات أصحابها ومعتقداتهم وتصوراتهم عن الحياة والإنسان، وهي أخلاق دخيلة غريبة على أمتنا، لابد للمربين والدعاة إلى الله أن يهتموا بمعالجة هذه الظاهرة من خلال التربية والتوجيه وبإيضاح النماذج الرائدة عند سلف هذه الأمة، وأن يضرب الدعاة والمربون من واقع حياتهم أمثلة صادقة بالمعايشة والقدوة الحسنة، حيث إن النفعيين والانتهازيين خطرهم جسيم، في المؤسسات التجارية والعلمية والدعوية، لأنهم سيتجاوزون كل القيم في سبيل مطامعهم وطموحاتهم، ومن تمعن في أحداث التاريخ أسعفته الشواهد، والعاقل من اتعظ بغيره، والحذر يجنب صاحبه المزالق والندم قبل فوات الأوان، ***و*** ان فعل الخير ذو الأثر النفعي المتوارث له ثمار وفوائد وآثار جمة، يعود خيرها على المنتفع، وفضلها على الباذل والمتصدق؛ وهذا تأكيد لعمومية رسالة الإسلام؛ بكونه دين معاملة عالمي إنساني النزعة، يركز على التطبيق الواقعي، ويحقق مبادئ الرحمة والتآلف، لذلك لابد من التعرف على سعة النظرة الرحيمة، وتفعيلها في حياه المسلم؛ ليعم خيره وينتشر أثره على الناس جميعا؛ وتصحيح الفكرة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين، وأنه دين ذو جوانب معيارية تطبيقية، وتصحيح فهم

الغرب والعرب عن الفكرة الغالطة أن الإسلام دين عنصري أو فئوي، يهمش الناس ويعزز الطبقية، ومن المعروف أن المجتمعات الإسلامية تتميز بالمحبة والتآخي والإخلاص، ومقاومة الأهواء، وأن الإيثار والتضحية والشهامة من أخص أخلاق المسلمين، وأن الأنانية والنفعية أخلاق وافدة على أمتنا قد غزتها بعد أن ضعف وازع العقيدة ودواعي الإخلاص، و بعد هذه الجولة السريعة في مفاهيم المنظومة الاخلاقية وفقاً لما جاء في سيرة اهل البيت (عليهم السلام) المعصومين والمتمثلة بالإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) ومن خلال تتبع أفعال الامام من خلال سيرته العملية والتي هي حجة علينا كونها (السنة الفعلية / العملية) التي اوصانا الله عزوجل بالرجوع اليها توصل البحث الى ان يجب ان فعل المعصوم وندرك أثره الأخلاقي والإيثار الذي تجسد في حياته المباركة و بكافة مسمياته الاجتماعي والاقتصادي نظم دينية تبيّن أثر الدين في تنمية قدرات المجتمع في الاجتماع والاقتصاد والقدرات البشرية، وفي اطار المفهوم الأخلاقي النفعي للنفس وللآخرين ينطلق الإمام زين العابدين (عليه السلام) من حق النفس إلى ما يتفرع عنها، وهي الحقوق المترتبة على العلاقة مع الآخرين، وقد قسَّمها الإمام زين العابدين عليه السلام إلى أقسام فإنّ في سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام) أكثر من عالَمٍ منفتح على الله وعلى الإنسان والحياة، وأكثر من أفق منطلق بالفكر والروح والشعور والحبّ الإلهيّ والعرفان الروحي، وأكثر من مساحة مليئة بالقضايا الأخلاقية والأجواء الإنسانية والمناهج الحركية، ورسم لنا خارطة البناء الاخلاقي الروحي للانسان سواء من خلال حقوقه مع ذاته ام مع الاخرين لتكون احاديثه (عليه السلام) وخطبه وحكمه القصار هي السراج الذي ينير ظلمات الفلسفات الغربية الاخلاقية التي ذهبت اما بالافراط او التفريط في حق النفس او حق المجتمع والآخر سواء كانت بالنظرية النفعية او النظرية الانانية المادية المحضة التي من خلالها صادروا الحقوق للعامة.

أوصت الدراسة بعدة أمور أهمها: بضرورة ان يكون المام ومعرفة وضرورة الوعي والمعرفة بكل ما يتعلق بالنفعية من المنظور الإسلامي ونقد ورفض النفعية والانانية الغربية إذ أن هناك قصورا في معرفة الأثر النفعي على حقيقته في السنة النبوية عند العامة، وأن هناك قصورا في عرض المظاهر وآثار النفع المتعدي، وأن هناك حاجة ماسة للوقوف على العراقيل التي تحول دون تفعيل المبادرات الدافعة لفعل الخير وإحياء المبادرات الفردية والمجتمعية للحيلولة دون انتشار الفقر؛ مما يؤدي لشيوع الجريمة: كالسرقة والقتل والممارسات المحرمة؛ لأجل الترزق والتكسب، وإعطاء صورة غير نقية ومشوهة عن طبيعة المجتمع المسلم؛ الذي ينعم بالرخاء ويحقق الكفاية، وتفعيل أشكال النفعية في كل المجالات، وأوصت كذلك بضرورة إقامة المؤتمرات والندوات العلمية والحوارية، من اجل تأصيل وتنمية جذور الفلسفة للثقافة النفعية الاسلامية من خلال التشجيع للمبادرات الفردية وتعريف الناس بفوائد العمل النفعي وآثاره.

نسأله تعالى بأن نوفق بتقديم دراسة علمية قيمة ينتفع بها كل من طرق باب العلم والمعرفة وأن تكون دراستنا هذه هي خطواتنا الأولى لما نقدمه لقادِم الأيام بعونه وتوفيقه تعالى.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للفلسفة النفعية الغربية وأهم ابعادها ومفاهيمها

المطلب الأول: الإطار المفهومي للفلسفة النفعية والأنانية والغيرية وأهم أبعادها:

1.النَّفَعِيَّة: أو مَذْهَب المَنْفَعَة هي نَظَرِيَّة أَخْلاقِيَّة تَنُص على أنَّ أَفْضَل سُلوك أو تَصَرُّف هو السُلوك الَّذي يُحَقِّق الزِّيادَة القُصْوَى في المَنْفَعَة[1]، ويعد الفَيْلَسوف الإنْجِليزي جِيرمي بِنْثام، مُؤسِّس النَّفْعِيَّة، و وصَفَ المَنْفَعَة بِخَاصِّيَّة أي شَيْء نَتَجَت عنها فائِدة، مِيزَة، مُتعَة، خَيْر، أو سَعَادة، أو تَحُول دُون وقُوع أَذَى، أَلَم، شَر، تَعَاسَة على مَصْلَحَة طَرَف مُعَيَّن، وتُصَنَّف النَّفْعِيَّة على أنَّها شَكْل مِن أشْكَالِ العَواقِبِية الفِكْرِيَّة، والَّتي بِدَوْرِها تَنُص على أنَّ عاقِبَة أو نَتِيجَة أي تَصَرُّف هو المِعْيار الوَحيد لِتَحْديد الصَّواب والخَطَأ[2]، واخْتَلَفَ مُؤَيِّدو النَّفْعِيَّة على عِدَّة نُقاط، مِثْل ما إذا كان يَنْبَغي أنْ يَتُم اخْتِيار السُّلُوك على أَسَاس نَتَائِجِه (نَفْعِيَّة فِعْل) أو يَنْبَغِي على الوكَلاءِ إتِّباع مَجْموعَة مِن القَواعِد لِتَحْقيق الزِّيادَة القُصْوَى في المَنْفَعَة (نَفْعِيَّة قاعِدة)، وهناك أيْضاً خِلاف آخر حَوْل إذا ما يَجِب أن تَكون الزِّيادة القُصْوى في إجْمَالي (النَّفْعِيَّة الكُلِّيَّة) أو مُتَوَسِّط (النَّفْعِيَّة المُتَوَسِّطَة) المَنْفَعَة، وان قَواعِد مَذْهَب المَنْفَعَة بَدَأَت مع كِتَابَات بِنْثَام، لِتَشْمَل كَذَلِك كِتَابَات جون ستيوارت مِيل وهنري سيدجويك وريتشارد ميرفن هير وبيتر سنجروالنفعيَّة (كمذهب أخلاقي قائم بحد ذاته) لم تظهر حتى القرن الثامن عشر الميلادي، رغم أنَّ النفعيَّة كما يُعتقد بدأت مع جيريمي بنثام ولكنَّ مُفكِّرين كُثر قبله قدَّموا نظريات قريبة جداً إلى حدٍّ يثير الدهشة منهم الفيلسوف الإنكليزي الشهير ديفيد هيوم.[3]تأسس المذهب النفعي في انكلترا ومن اهم شخصياته:

جيرمي بنتام: حيث يقول بنثام في هذا الخصوص:«إن عمل وواجب الحكومة هو تعزيز سعادة المجتمع من خلال استخدام العقاب والثواب، وعليه فأي فعل يميل إلى إزعاج تلك السعادة سيؤدي إلى الضرر وهو يستوجَّب العقاب"، و يُقسِّم بنثام الشرور لدرجتين أولى وثانية من حيث نتائجها وأسبابها، فتلك التي من الدرجة الأولى هي التي تنتج بشكل مباشر عن الأسباب، أما تلك التي من الدرجة الثانية فتحدث عندما تحدث الأسباب من خلال المجتمع ممَّا قد يتسبَّب في الخطر.

جون ستيوارت ميل: بدأ جون ستيوارت ميل كبنثام ولكن سرعان ما بدا واضحاً أنَّه هو الذي سيحمل لواء النفعية وظهر كتاب ميل المُسمَّى «النفعية» ورفض ميل القياس الكمي البحت للسعادة وقال: «يتماشى مع مبدأ المنفعة أنَّ بعض أنواع المتع أكثر قيمة من غيرها ومرغوبة بشكل أكبر بكثير، وسيكون من السخف أنَّنا في الوقت الذي نعتمد في تقدير قيمة كل الأشياء الأخرى على النوع والكم مع بعضهما، أن نقدِّر قيمة السعادة والمتع اعتماداً على الكم وحده.» [4].

الأفكار والمعتقدات للمذهب النفعي: استُخدِم مصطلح النفع ليعبِّر عن السعادة والرفاهية بشكل عام، في حين أنَّ وجهة نظر ميل أنَّ النفعية هي التي تعبِّر عن النواتج الجيدة للفعل وهكذا يمكن استخدام تعبير النفعيَّة الاجتماعية لوصف الأشخاص الذين يقومون بأفعال تحقِّق نتائج جيدة للمجتمع وتحقيق رفاهية لأكبر عدد من الناس، وكما قال جيريمي بنثام - مؤسِّس النفعيَّة المبكِّرة - إنَّ أعظم سعادة تكمن في أكبر عدد ممكن لا ينظر ميل للأفعال باعتبارها جزءاً جوهريَّاً من النفعيَّة فحسب بل كقاعدة لتوجيه السلوك الإنساني الأخلاقي، والقاعدة هنا أنَّه يجب

1- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الفلسفي، بيروت: عالم الكتب، 1979، ص 133.

2- موسوعة لالاند الفلسفية» للفيلسوف الفرنسي André Lalande (1876-1963م)، منشورات عويدات، بيروت: 2001م، 1514/3. وختم جميل صليبا كلامه في «المعجم الفلسفي» 499/2-500 في مادة: «النفعية» Utilitarianism بقوله: «وجملة القول: أنَّ مذهب المنفعة يجعل تحقيقَ المنفعة مبدءً، وتوفير أكبر قسط من السعادة قاعدةً، والاتفاق بين المنفعة الفردية والمنفعة العامة غايةً. فالأفعال الصالحة عند النفعيِّين هي التي توصل إلى السعادة، والأفعال السيئة هي التي توصل إلى الشقاء، ومعنى السعادة اللذَّة الخالية من الألم، ومعنى الشقاء الألم الخالي من اللذة، والسعادة والمنفعة متَّحدتان ذاتًا».

3- جان غرايش، الغيرية: مقولة أخلاقية، ترجمة: وحيد بن بوعزيز، مجلة أيس، العدد 2، 2007، ص 28.

4- غيضان السيد علي، الغيرية في التفكير الغربي، بين غلبة الأنا والتضحية من أجل الآخر، الاستغراب، العدد: **10** السنة الرابعة – شتاء 2018 م / 1439 هـ.

علينا القيام بالأعمال التي تقدِّم السعادة للمجتمع ككل، إذ كان كل همهم الاهتمام بالحياة الدنيا والاغتراف من لذاتها، ويمكن تلخيص أفكاره فيما يلي: إن صواب أي عمل من الأعمال، إنما يحكم عليه بمقدار ما يسهم في زيادة السعادة الإنسانية أو في التقليل من شقاء الإنسان، بصرف النظر عن السداد الأخلاقي لقاعدة ما، أو مطابقتها للوحي أو للسلطة أو للتقليد أو للحس الأخلاقي أو للضمير، اللذة هي الشيء الوحيد الذي هو خير في ذاته، والألم هو الشيء الوحيد الذي هو شرٌّ في ذاته[5].

2.الأنانية: الأنانية الأخلاقية أو الأثرة الاخلاقية (ويقابلها: الإيثار الاخلاقي) وهي الموقف الأخلاقي المعياري الذي ينبغي معه على الأشخاص الأخلاقيين فعل ما يحقق مصلحتهم الشخصية، وتختلف الأنانية الأخلاقية عن الأنانية النفسية، التي تشير إلى أن الناس لا يمكنهم التصرف سوى بما يحقق مصلحتهم الشخصية، وتختلف، كذلك، عن الأثرة العقلانية، التي ترى أنه من العقلانية التصرف بما يتفق مع مصلحة المرء الشخصية؛ وتتناقض الأثرة الأخلاقية مع الإيثار[6]، وهو المبدأ القائل بأن الاشخاص الأخلاقيين ملتزمون بمساعدة الآخرين، على الجانب الآخر، يتناقض كلٌ من الأثرة والإيثار مع النفعية الأخلاقية، التي ترى أن الشخص الأخلاقي يجب ألا ينظر لنفسه (المعروفة أيضًا في الفلسفة باسم الكيان) على أنها في مكانة أعلى من الآخرين (كما هو الحال مع الأثرة، عن طريق رفع المصالح الشخصية و«الذات» إلى وضع لا يتمتع به الآخرون)، لكنه لا يجب في الوقت نفسه (كما هو الحال مع الإيثار) أن يضحي بمصالحه الشخصية لتعزيز مصالح الآخرين، طالما أن هذه المصالح الشخصية (أي الرغبات أو الرفاهية الشخصية) تتساوى فعليًا مع مصالح الآخرين ورفاهيتهم، وتُعَد الأثرة والنفعية والإيثار جميعًا صورًا من العواقبية، لكن الأثرة والإيثار متناقضان مع النفعية التي تركز على الاشخاص (أي التي تركز على الكيان أو الذاتية)، أما النفعية، فتتسم بحيادية الشخص الأخلاقي (أي الموضوعية وعدم الانحياز)، فلا تنظر إلى مصالح الكيان (أي الذات) الشخصية على أنها أقل أو أكثر أهمية من مصالح الآخرين أورغباتهم أو رفاهيتهم، و بالرغم من ذلك، يمكن اعتبار المفهوم النفعي للمصلحة الذاتية المستنيرة نوعًا من الفلسفة التي ترتكز على الممثل الأخلاقي[7].

5- كاتي لوبلان، لقاءات الغيرية عند هيدغر الثاني، مجلة أيس، العدد 2، 2007، ص 37.

[6]-*وما يقابل الانانية هو الإيثار* (ويسمى أيضًا أخلاقيات الإيثار والإيثار الأخلاقي): وهو مذهب أخلاقي يرى أفراده أن لديهم التزاماً أخلاقيّاً لمساعدة الآخرين أو خدمتهم أو نفعهم، ويدعو أوغست كونت في كلامه عن الإيثار إلى العيش من أجل الآخرين، ويُعرف من يحمل أيًا من هذه الأخلاقيات بـ «المؤثر»، وقد صاغ كلمة «الإيثار» (بالفرنسية، *altruisme*، من *autrui*: «أشخاص آخرون»، مشتقة من الكلمة اللاتينية البديلة: «آخر») أوغست كونت، المؤسس الفرنسي للوضعية، من أجل وصف العقيدة الأخلاقية التي يؤيدها. فقد كان يعتقد أن الأفراد عليهم واجب أخلاقي في التخلي عن المصالح الذاتية والعيش من أجل الآخرين، وغالبًا ما يُنظر إلى الإيثار على أنه شكل من أشكال العواقبية، لأنه يشير إلى أن أي عمل هو صحيح أخلاقيًا إذا كان يؤدي إلى نتائج جيدة للآخرين. ويقول جيمس فييسر القول الفصل في مسألة الإيثار وهو: «إن أي عمل يكون صحيحًا أخلاقيًا إذا كانت نتائج هذا العمل مفضلة أكثر من كونها غير مفضلة بالنسبة للجميع ما عدا الفاعل.»[1] ويُمكن أن يُنظر إلى الإيثار على أنه النفعية، ولكن هناك فرقًا جوهريًا وهو أن المصطلح الأخير يصف الأفعال التي تزيد من النتائج الجيدة لجميع أفراد المجتمع، بينما يصف الإيثار تعظيم النتائج الجيدة لكل شخص ما عدا الفاعل. ومع ذلك، يمكن القول بأنه طالما سيفوق دائمًا عدد بقية المجتمع النفعية، فحتمًا ستؤدي النفعية الحقيقية إلى ممارسة الإيثار أو شكل من أشكاله، غيضان السيد علي، الغيرية في التفكير الغربي، بين غلبة الأنا والتضحية من أجل الآخر، الاستغراب، العدد: **10** السنة الرابعة – شتاء 2018 م / 1439 هـ..

7- لكن الأثرة لا تدفع الأشخاص الأخلاقيين إلى الإضرار بمصالح الآخرين أو رفاهيتهم عند الدراسة الأخلاقية المتأنية، فيمكن، مثلاً، أن تكون المصلحة الذاتية للمرء ضارة أو نافعة في أثرها على الآخرين، أو بلا أثر على الإطلاق وتسمح الفردية بتجاهل مصالح الآخرين ورفاهيتهم، أو عدم تجاهلها، طالما أن ما يتم اختياره مؤثر في إرضاء المصلحة الذاتية للشخص الأخلاقي، كما لا تقتضي الأثرة الأخلاقية بالضرورة أن المرء يلزم عليه دائمًا – في سعيه لتحقيق المصلحة الذاتية – أن يفعل ما يرغب في فعله، بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة وتعليق: جوروج زيناتي، لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2005، ص 398.

3.الغيرية: هي نوع من السُّلوك يهتمّ بمصلحة الآخرين بدلًا من الاهتمام بالمصلحة الشخصيّة ضد الأنانيّة، و هو ميول الشخص، وحبه، وتفضيله لغيره بصفةٍ عامَّة، والغيريّة مشتقة من الغير وهو كون كل من الشيئين خلاف الآخر، وقيل كون الشيئين بحيث يتصور وجود أحدهما مع عدم الآخر، والغيريّة عند المحدثين هي الإيثار، وهي مقابلة للأنانيّة، وتطلق في علم النفس على الميل الطبيعي إلى الغير، وفي علم الأخلاق على القول بوجوب تضحية المرء بمصالحه الخاصة في سبيل الآخرين، ويقابل الغيريّة الأنانيّة، وتعني الأخيرة الأثرة، وحب الذات الذي يحمل الإنسان على الدفاع عن نفسه، وحفظ بقائه، وتنمية وجوده، والغيريّة هي لفظ جديد استحدثه (أوجيست كونت) وقصد به أن تحيا في سبيل غيرك، فالغير ضروري لوجود الأنا ومن دونه لا قيمة للحياة، وأن تجعل الحب مبدأك والنظام دعامتك، والتقدم هدفك؛ أي أن تحب الخير لغيرك، وأن تبذل ما في وسعك مختارًا في سبيل نفعه، واعتبر هذا الميل في نفع الآخرين أصيل في الإنسان لكنّ طائفة من الفلاسفة أنكرت ذلك، وزعموا أنَّ الإنسان لا يحب إلا نفسه، ولا يفكر إلا في مصلحته الخاصة، بينما ذهب آخرون إلى أن الأنانيّة هي الأصل[8] وإنما تولدت الغيريّة منها عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعيّة السليمة، بينما ذهب فريق ثالث ومنهم ليتريه Littre وإميل دور كايم I. Durkheim إلى أن الشعور بالإيثار أصيل في الإنسان كالأنانيّة، وأنَّ كلا الميلين ناشئ عن وظائف الخلية الحية، فالأنانيّة تنشأ عن وظيفة التغذي، وهي التي تدفع الكائن الحي إلى البحث عن إنسان كائن آخر يحضنه ويربيه، حتى يصبح قادراً على الحياة بنفسه[9]، ويرى أندريه لالاند أن مصطلح الغيرية تعني في علم النفس الشعور بالحب تجاه الآخر، الشعور الذي ينجم غريزيًّا عن الأوامر القائمة بين الأفراد، أو ذلك الذي ينجم عن الرويّة والإيثار الفردي (إنكار الذات) [10]، وتشمل على التعلّق والتبجيل والطيبة وفي الأخلاق هي عقيدة أخلاقية معاكسة للإمتاعية والأنانية وإلى حدٍّ ما للنفعية، فالغيرية تأخذ في معناها معنى

8- بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة وتعليق: جوروج زيناتي، لبنان: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2005، ص 398.

9- ولدراسة نزعات الغيريّة والأنانيّة في الفكر الغربي يمكن القول إنَّ البداية كانت أنانيّة تمحورت فيها الذات حول نفسها، بلّ إن الأنانيّة هي الأكثر سيادة على تاريخ الفكر الغربي، لكنّ هذا لا يمنع من وجود نزعات إيثاريّة على استحياء في ظل هيمنة الأنا ونزعاتها الأنانيّة السامقة يمكن ملاحظتها في العصور الحديثة والمعاصرة. فالأمر قد اختلف، فقد كانت الحاجة إلى الوعي بالآخر هي الأكثر إلحاحًا، فتباينت النظرة من التمركز حول الأنا إلى النظر في طبيعة الآخر، واتخاذ موقف محدد في التعامل معه، إمّا بالنفور منه والابتعاد عنه بوصفه عدواً يتربص بالذات، أوبالقرب منه والتعاون معه كونه شريكاً في الإنسانيّة، بلّ وبالخوف عليه وحراسته والدعوة إلى التضحية من أجله، ولذلك لم يكن غريبًا في خضم تلك النظرة الدونيّة للآخر والتمركز حول الذات أن يُنظر إلى المذاهب الأخلاقية اليونانية على أنها مذاهب أقيمت من أجل الدولة أكثر مما أقيمت لصالح البشرية، وللأصدقاء وليس للأعداء، ولم تسلم من هذه النقائص كبرى المذاهب القديمة، فأفلاطون مع سمو نزعته حرَّم استرقاق اليونان، وأباح في الحرب تدمير الأعاجم، وتخريب بيوتهم، وأرسطو يبيح رق الأعاجم ويحرم استرقاق اليونان! ويرفض المساواة بين الناس، ويخص الأقلية بأحسن الأشياء، ويطالب الأكثرية بالقناعة، ولا يشير في مذهبه بكلمة إلى حب البشريّة، لكنَّ هذا الحب وذاك التسامح لم يكونا سوى دعوات طوباوية لا وجود لها على أرض الواقع؛ فقد أقرَّ القديس أوغسطين الحرب وسيلةً ضرورية لحماية العدل، كما أقرّ العبودية والرق بوصفهما شرًا ضروريًا في هذا العالم الناقص. وشن باباوات العالم الغربي الحروب المقدسة تحت شعار الصليب على الشرق لنهب خيراته وثرواته، فالشرق يفيض عسلًا ولبنًا. وحقيقة الأنا المسيحية تجاه الآخر يعكسها بدقة قول المفكر القبطي مراد وهبة: «وفي الحقبة المسيحية كان التعصب سائدًا. فقد تنوعت محاكم التفتيش، من أهمها محاكم التفتيش الملكية في أسبانيا، ومحكمة التفتيش المقدسة في روما. اختصت الأولى بالنظر في الهراطقة في خليج إيبريا، وفي المستعمرات الأمريكية. وامتدت الثانية حتى شملت كل أوروبا، وأحرقت من شمال أوربا جان دارك، ومن جنوبها جيوردانوبرونو». غيضان السيد علي، الغيرية في التفكير الغربي، بين غلبة الأنا والتضحية من أجل الآخر، الاستغراب، العدد: **10** السنة الرابعة – شتاء 2018 م / 1439 هـ.

10- وحيد بوعزير، فوكو والأنوار، مجلة أيس، العدد 1، جوان 2005، ص9

الخير والفضيلة وتغليب مصلحة الآخر كهدف أخلاقي سامٍ[11]،أخذت مشكلة الغيريّة جدلاً عميقاً ولما ينته بعد في الثقافة الغربية الحديثة، وعلى الرغم من ذلك فقد شهد الوعي الغربي ميلاً نحو التمركز حول الأنا الحضارية على حساب التضحية الحقيقية من أجل الغير، وعلى الرغم من قِدم العلاقة بين الأنا والآخر وتنوع صورها بين الحب والتعاطف والاحترام والصداقة والغرابة والقرابة والإيثار والأثرة والصراع والتنافس والعداوة، وعلى الرغم من دعوات الأديان الكبرى إلى أداء واجب الضيافة، ومساعدة الجياع والفقراء والمحتاجين، وحب الخير للآخرين، يكشف وبوضوح عند دراسة تاريخ الفكر الغربي عن تهميش لمشكلة الغيريّة بشكل واضح خاصة في العصرين القديم والوسيط، فقد تمركزت «الأنا حول ذاتها» واهتمت بالانشغال بتفسير الوجود الخارجي، ودأب التفكير الفلسفي منذ إرهاصاته الأولى على جعل السؤال مِعولًا لحفر معرفي يهدف إلى خلق تراكم إنساني بصدد معرفة الطبيعة والكون والوجود، بينما لم يشغل الإنسان وعلاقته بالآخرين سوى مكان هامشي، ولذلك لن نلاحظ سيادة دعوات الأنانيّة وطغيان النزعة الاقصائيّة بشكل كامل، إذ ناوءتها دعوات الإيثار والغيريّة ونكران الذات من حين لآخر[12]، ففي حين ابتدأ العصر الحديث بدعوة توماس هوبز إلى الأنانيّة وأنَّ الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، والتي سادت لمدة ليست بالقصيرة، إذ يمكن ملاحظة آثارها عند ديكارت وهيجل، تظهر في مقابلها دعوة جول سيمون الذي ينزع منزعًا إنسانياً وينادي بالتكامل مع الآخر وهو الأمر نفسه الذي نجده عند اثنين من الفلاسفة المعاصرين أمثال الفرنسيين جان بول سارتر الذي يرى أنَّ الآخر هو الجحيم بعينه في مقابل إيمانويل ليفيناس الذي يضع الأنا في حراسة الآخر بل يرى أنَّ من واجب الأنا التضحية من أجل الآخر[13].

المطلب الثاني: نظريات المذهب النفعي وأهم الانتقادات الموجهة لها، الباراغماتية النفعية: مفهومها، مآلاتها

في العصر الحديث، ظهر المذهب النفعي محاولًا التحايل للعودة إلى تقرير مبدأ اللذة، ولكن مع تدخل "الفكر" لتنظيم اللذات لأنها لو تركت لذاتنا وشأنها لتحولت إلى حشد متناقض فوضوي من الملذات وتأثرت بمجال الوعي كله، فإن إدخال التفكير أو التدابير أو التحطم على سلسلة اللذات ينتقل بنا إلى مذهب اللذة معدلًا، إن معالم المذهب النفعي تتلخص في التقاء مفكريه على القول بأن اللذة أو المنفعة هي الخير المرغوب فيه، والألم هو الشر الذي يجب تفاديه، ومن ثم فإن المنفعة عندهم هي مقياس الخيرية، و يقدِّم ميل ما يعتبره دليلاً لإثبات مبدأ النفعيَّة وذلك بقوله:" الدليل الوحيد على أنَّ الشيء مرئي هو أنَّ الناس يرونه بالفعل، والدليل الوحيد على أنَّ الصوت مسموع هو أنَّ الناس يسمعونه، وبطريقة مشابهة فالدليل الوحيد الممكن إعطاؤه لإيضاح أنَّ أي شيء جذَّاب أو مرغوبٌ فيه هو أنَّ الناس بالفعل يرغبون به إذ لا يمكننا أن نقدِّم أي دليل يؤكِّد أنَّ السعادة العامَّة مرغوبٌ فيها باستثناء معرفتنا أنَّ كلَّ شخص يرغب في تحقيق سعادته الخاصة، سعادة كلِّ شخص هي أمرٌ جيدٌ لهذا الشخص، وبالتالي فالسعادة العامَّة جيدة لمجموع كلِّ الأشخاص"[14]، وقد نقد هذا دائماً بإنَّ ميل يرتكب عدداً

11- أما الآخر والغير فأن بينهما الكثير من التداخل والتباعد، ففي الدلالة المعجمية الفرنسية نجد بعض التمييز بين المفهومين، حيث يتّخذ مفهوم الآخر معنى أوسع عن الغير؛ إذ إنه يعني كل ما هو مختلف عن الذات والموضوع، وكل ما هو مختلف بين مستويات الأشياء، أما في المعجم العربي: فالآخر اسم خاص لمغاير شخص، أو بعبارة أخرى لمغاير بالعدد، وقد يُطلق على المغاير في الماهية، والآخر بمعنى الغير، وكلمة الغير في اللغة العربية غالبًا ما تُستعمل بمعنى الاستثناء، «فيراد بالغير ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متغيّر منه، ويقابل الأنا، ومعرفة الغير تعين على معرفة النفس»، وحيد بوعزير، فوكو والأنوار، مجلة أيس، العدد 1، جوان 2005، ص9

12- غيضان السيد علي، الغيرية في التفكير الغربي، بين غلبة الأنا والتضحية من أجل الآخر، الاستغراب، العدد: **10** السنة الرابعة – شتاء 2018 م / 1439

13- فتحي التريكي، بول ريكور فيلسوف الغيرية، مجلة أوراق فلسفية، العدد 8، 2003، القاهرة: مركز النيل للكمبيوتر، ص 81..

14- غيضان السيد علي، الغيرية في التفكير الغربي، بين غلبة الأنا والتضحية من أجل الآخر، الاستغراب، العدد: **10** السنة الرابعة – شتاء 2018 م / 1439 هـ

من المغالطات المنطقيَّة، وهو متَّهمٌ بالمراوغة أحياناً لأنَّه يحاول استنتاج ما يجب على الناس فعله ممَّا يفعلونه في الواقع فهو ينتقل من حقيقة أنَّ شيئاً ما مرغوبٌ فيه من قِبل الأفراد إلى الإدِّعاء بأنَّه يجب أن يكون مرغوباً فيه، على كلِّ حال فحقيقة أنَّ الناس يرغبون في سعادتهم الخاصَّة لا يعني أنَّ جميع الأفراد سوف يرغبون في السعادة العامَّة، ويتوقَّع ميل الاعتراض على أنَّ الناس يرغبون في أشياء أخرى مثل الفضيلة، ويرفض القول بأنَّ الناس قد يرغبون في الفضيلة كوسيلةٍ للسعادة لا أكثر، لأنَّه في نهاية المطاف قد تصبح الفضيلة جزءاً من سعادة شخصٍ ما وبالتالي يمكن اعتبار الفضيلة غايةً في حدِّ ذاتها مثلها مثل السعادة[15].

أنواع النفعية: ان المذهب النفعي من أهم النظريات الأخلاقية التي أثرت في العصر الحديث، وهي في الأصل نظرة الفيلسوف الاسكتلندي ديفيد هيوم وكتاباته من منتصف القرن الثامن عشر، إلا أنه استمد اسمه وبيانه في كتابة فلاسفة الإنجليز جيرمي بينثام و جون ستيوارت مل، وتختلف النفعية عن النظريات والمذاهب التي تتبنى فكرة أن الفعل إن كان صوابا او خطأ يعتمد على دافع الفاعل فقط، وينص المذهب النفعي على وجوب مراعاة مصالح كل الافراد مع مراعاة المساواة عند اتخاذ القرار، لذا فبالنسبة لأي من الاختيارات المتاحة يرى المذهب النفعي أن الاختيار الاكثر أخلاقية هو الذي ينتج عنه افضل توازن بين الفائدة والضرر لأغلب أصحاب المصلحة؛ بمعنى اوضح من حيث صافي الفوائد والتكاليف لأصحاب المصلحة ككل على المستوى الفردي، حيث يسعى المذهب النفعي إلى تحقيق أكبر فائدة لأكبر عدد مع مراعاة منع أكبر قدر من الألم والضرر.

أنواع النفعية:

1.النفعيَّة السلبيَّة: أول من استخدم مصطلح النفعيَّة السلبيَّة هو رودريك سمارت عام 1958 في سياق ردِّه على بوبر حين قال:"بأنَّ هذا المبدأ يعني ببساطة البحث عن الطريق الأسرع والأقل إيلاماً لقتل البشريَّة بأكملها، وبشكل مناقض تماماً فإنَّ النفعية السلبية تتساهل مع المعاناة والألم الذي يمكن تعويضه داخل الفرد نفسه، والنفعيَّة التفضيليَّة السلبيَّة تعارض القتل الأخلاقي لأنَّه ينتهك العديد من معاييرها ولكنَّها من جهة أخرى تطالبُ بمبرِّر لخلق حياة جديدة، وقد يكون هذا المبرِّر هو تقليل الأفراد الجدد لمستوى المعاناة[16]، و يرى آخرون أنَّ النفعية السلبيَّة ماهي إلَّا فرع من فروع النفعيَّة الحديثة يعطي وزناً أكبر لتقليل الألم بدلاً من زيادة السعادة[17].

2.النفعيَّة التحفيزيَّة: كان روبرت آدامز هو أول من اقترح مبدأ النفعيَّة التحفيزيَّة عام 1976 ففي الوقت الذي كانت فيه النفعيَّة الفعليَّة تطلب منَّا أن نختار أفعالنا وفق مبدأ تحديد الأفعال التي تزيد المنفعة، والنفعيَّة الحكميَّة

15- يقول بوبر: «من وجهة نظر أخلاقيَّة لا يوجد تناظر بين المعاناة والسعادة، بين الألم واللذة، وإنَّني أعتقد أنَّ المعاناة البشريَّة هي النداء الأخلاقي المباشر والحقيقي – نداء الحصول على العون والمساعدة – في حين لا توجد دعوةٌ مماثلة لزيادة سعادة فردٍ يُبلي جيداً، وهناك أيضاً انتقادات لمبدأ المنفعة الذي ينصُّ على أكبر قدر ممكن من السعادة، لأنَّه يفترض وجود مقياس يجمع الألم والمتعة في نفس الوقت ويتيح لنا اعتبار الألم نقاط سلبيَّة يتمُّ حذفها من المجموع الإيجابي للمتعة، ولكن من وجهة نظر أخلاقيَّة لايمكن تجاهل الألم بواسطة المتعة، وبدلاً من تحقيق أكبر سعادة لأكبر عدد ممكن من البشر يجب العمل على تقليل معاناة وألم أكبر شريحة من المجتمع.»

16- وهذه النظرية تدفعنا إلى تعزيز أقل قدر من المعاناة لأكبر عدد من الناس، وهنا تعارض مع نظريات النفعية الأخرى المستندة إلى قاعدة؛ تعزيز أكبر قدر من المتعة لأكبر عدد من الناس، وما يبرر المذهب النفعي السلبي هو أن الضرر يكون أكبر المتعة، وبالتالي يجب أن تكون ذات تأثير كبير على اتخاذ القرار الاخلاقي، وتم الجدال بين النقاد حول أن الهدف من هذه النظرية هو التسبب في اسرع الطرق واقلها ايلاما لقتل جميع البشرة، فبعد موت الجميع أن يكون هناك المزيد من المعاناة للبشرية، الأمر الذي يضمن وجود أقل قدر من الألم في العالم، وكانت الحجة المضادة لهذا الجدال هي أنه يجب إعطاءالأولوية الاستياء على المتعة، ولكن هذا يسبب مشكلة مقدار المتعة وكيف يمكن تحديد أي منها، كما أن على الرغم من أن الألم أهم من اللذة، فإن الموت أكثر تبعية من الألم.

17- موسوعة الفلسفة» للدكتور عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: 1984م، 448/1.

تلتزم بالقواعد التي تزيد المنفعة، فإنَّ النفعيَّة التحفيزيَّة تقوم على تحديد الدوافع والأفضليَّات وفقاً لآثارها السليمة العامة وتلك الدوافع والأفضليَّات هي التي تملي علينا الأفعال التي سنختارها، إنَّ الحجج والبراهين التي تؤيِّد النفعيَّة التحفيزيَّة على مستوى الفرد يمكن توسيعها لتشمل النفعيَّة التحفيزيَّة على مستوى المجتمع[18] أي إنَّ تطبيق القواعد المختارة بعناية على المستوى الاجتماعي واختيار الدوافع المناسبة على المستوى الشخصي سيؤدي على الأرجح إلى نتائج شاملة أفضل حتى لو أدى في بعض المناسبات الفرديَّة لاتخاذ إجراءات خاطئة عند تقييمها وفقاً لمعايير المنفعة[19].

3.النفعية الواعية: وفي هذه النظرية تعطي النفعية اعتبارا متساويا للكائنات الحية جميعها، وليس البشر على وجه الخصوص، لذا يمكن دمج هذه النظرية النفعية مع غيرها من النظريات، ويتجادل النقاد لنظرية النفعية الواعية حول أن احتياجات البشر تكون أكثر أهمية من احتياجات الحيوانات الأخرى بسبب أن البشر أكثر ذكاء منهم، وبسبب ذكاؤهم يتم جلب السعادة للجميع، وجاءت الحجة المضادة لهذا الفكر هو أنه وفقا له، سوف ينطبق ذلك على البشر وسيتم تصنيف احتياجات البشر وفقا لذكائهم.

إنتقادات واعتراضات النفعية: وبما أنَّ النفعيَّة ليست نظريَّة واحدة بل مجموعة من النظريَّات المترابطة، وجهت لها الكثير من الانتقادات منها:

1. **عدم التمكن من قياس كمية السعادة:** من الاعتراضات الشائعة التي توجَّه للنفعيَّة هو استحالة القدرة على قياس كميَّة السعادة أو المتعة، ويقول راي بريغز في هذا الخصوص: ان أحد الاعتراضات على النفعيَّة هو أنَّه قد لا يكون هناك غاية واحدة تتطلَّب منَّا العقلانيَّة السعي لتحقيقها، فإنَّه من الصعوبة بمكان تحديد طريقة صحيحة واحدة للمقارنة بين هذه الغايات المختلفة"[20].

2.النفعيَّة تتجاهل العدالة: أشار روسين ان أصحاب النفعيَّة القانونيَّة ليسوا قلقين بشأن وضع القواعد، وبالمثل يشير هير إلى أنَّ الصورة الكاريكاتورية للنفعيَّة القانونيَّة هي الصورة الوحيدة التي يبدو أن العديد من الفلاسفة يعرفونها. وبحسب ما قاله بنثام عن الشرور من النوع الثاني فإنَّه سيكون تحريفاً خطيراً أن يقوم النبلاء بمعاقبة شخص بريء من أجل الصالح العام للمجتمع وهذا بالضبط ما ينتقده معارضوا النفعيَّة المثاليَّة"[21].

3.توقُّع النتائج: من الانتقادات الموجهة للنفعية هو أنَّه من المستحيل القيام بحساب أو توقع النتائج لأنَّ العواقب لا يمكن معرفة طبيعتها، اي أنَّه من المستحيل تحديد قيمة فائدة الفعل بدقة ومن المستحيل أيضاً معرفة ما إذا كانت

18- نورة بوحنا، ما بعد الأخلاق وما بعد الفضيلة، المجلة: الاستغراب العدد: **33** السنة: شتاء 2024م / 1445هـ

19- تتضمن هذه النظرية الدوافع التي تدفع الناس بأفعالهم، وتأخذ بعين الاعتبار الحالة النفسية للإنسان عند القيام بالأفعال أو الرغبة في أدائها، وتعطي وزنا لها عند تقرير ما إن كان الفعل صحيح أم خاطئ من الناحية الأخلاقية؛ فإن كان من المعروف أن شخصا ما يقوم بعمل يبدو جيد بدوافع غير أخلاقية، فقد يُعتبر هذا الإجراء غير أخلاقي عند استخدام النفعية الدافعة، ينظر: الصوفي والظهراوي، حمدان عبد الله وجميل حسن. مفهوم نفع الآخرين في الإسلام ومدى تمثله لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة. الجامعة الإسلامية غزة كلية التربية، 2009، ص13-14.

20 لنملة، علي إبراهيم. العمل الخيري في ضوء التحديات المعاصرة. الشبكة العنكبوتية، 2010، ص2 -3

21 برتراند بادي: الدولتان – السلطة والمجتمع في الغرب وفي بلاد الإسلام. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. مطبعة الرسالة 1979، ص99.

العواقب في النهاية ستكون جيدة أو سيئة، وقد اعترفت النفعيَّة منذ البداية بأنَّه لا يمكن الوصول لليقين في مثل هذه الأمور وهذا ما أكَّدته أعمال بنثام وميل وجورج إدوارد مور[22].

4.الاعتراض على المطالب النفعيَّة: يطلب القانون النفعي من الجميع أن يفعلوا كلَّ ما بوسعهم لتحقيق أقصى منفعة ممكنة، وأن يفعلوا ذلك دون أي محاباة، يقول ميل: عند المقارنة بين سعادته الخاصة وسعادة الآخرين فإنَّ النفعية تتطلب من الفرد أن يكون محايداً بشكل حازم وأن يكون مثل متفرج غير مهتم أو معنيٍّ، ويقول النقاد إنَّ هذا الجمع بين المتطلبات سيؤدي إلى جعل متطلَّبات النفعيَّة غير معقولة[23].

5.الحساب النفعيَّ هو خطر ذاتي يهدِّد النفعيَّة: أحد أهم الانتقادات التي واجهت النفعيَّة هو أنه إذا تمَّ أخذ عامل الوقت في الحسبان عند اختيار أفضل طريقة عمليَّة لإنجاز فعل، فمن المحتمل أن تكون فرصة اختيار أفضل مسار للعمل قد مرَّت بالفعل[24].

سيادة الأخلاق النفعية في الغرب: لقد غزت فلسفة الغربيين مجتمعاتنا المعاصرة ويرى أصحاب هذه الفلسفة (النفعية) أن السعادة الحقة هي التي يشعر بها الإنسان نتيجة لإشباع دوافعه الطبيعية وغرائزه الحسية دون التقيد بدين أو خلق قويمن، وأصبحت الأخلاق الحديثة تُستمد من القيم المادية النفعية تحدوها ميكافيلية صريحة، وأضحى التعامل الاجتماعي قائماً على رابطة المصلحة وحدها، على الأخلاق التجارية، وتطور هذا الاتجاه النفعي في أوربا وأمريكا، وأخذ صوراً مختلفة، يمكن إيجازها في ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: مذهب المنفعة الشخصية: وله صورتان: صورة دعا إليها« أرستبوس » وقد فسر السعادة باللذات العاجلة بدلا من الآجلة، وأن إشباع الدوافع في حينها أمر ضروري لأن تأخيرها يؤدي إلى الشعور بالحرمان والكآبة، ويعتبرون أن السلوك الذي يحقق هذه السعادة سلوك أخلاقي، والصورة الأخرى: تتمثل في الفردية التي دعا إليها « هوبز » حيث ادعى أن الطبيعة الإنسانية طبيعة أنانية تعمل لمصلحة الذات وقد اخترع الإنسان المبادئ الأخلاقية ليتخذها وسيلة يحقق فيها منفعته الشخصية، ومن هنا يرى أن الأخلاق ما هي إلا وسيلة لتحقيق المنفعة وليست طبيعة في الإنسان.

المذهب الثاني: مذهب المنفعة العامة: وقال أصحابه: على الإنسان أن ينشد منفعة البشر عامة حتى الحيوانات، واعتبروا أن إقرار المنفعة غاية للأفعال الإنسانية، ومعيار للأخلاق، وتقاس أخلاقية الفعل بنتائجها لا ببواعثها.

المذهب الثالث: مذهب النفعية العملية « المذهب البراغماتي »[25] ويمثله جون ديوي، ويهتم البراغماتي عادة بماله من قيمة معنوية، والخطورة في هذا المذهب أن ديوي أرجع المثل الأخلاقية إلى نتائج الظروف الواقعية

---

22 لحازمي، ماجد بن عبد الله. قيم العمل التطوعي وتطبيقاتها من منظور التربية الإسلامية. مجلة البحث العلمي في التربية عدد18، 2017، ص517.

23- لوليام جيمس،«البراجماتية»، ترجمة: محمد علي العريان، تقديم: زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة: 2008م، 96.

24- عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي: المركز الثقافي العربي – البيضاء، لطبعة الأولى 1983، ص30..

25-البراغماتية: مذهب فلسفيٌّ يقرِّرُ أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجع، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، أي: الفكرة التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حقٌّ، ولا يُقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية. ومعنى ذلك كلِّه أنه لا يوجد في العقل معرفة أولية تستنبط منها نتائج صحيحة بصرف النظر عن جانبها التطبيقيّ، بل الأمر كلُّه رهنٌ بنتائج التجربة العملية التي تقطع مظانَّ الاشتباه. وإذا كانت الحقائق العلمية تتغيَّر بتغيُّر العصور فإن الصادق بالحاضر قد يصبح

للإنسان، فهي ليست مبادئ مطلقة ثابتة يضعها الفلاسفة، كما أنها ليست من وضع المجتمع، ولا من وضع السماء، ثم أنكر أن تكون للأخلاق غاية عليا سامية وثابتة، وأن لها مبادئ مطلقة لا تقبل التغير، ذلك لأن الحياة متطورة، لقد سيطرت هذه الفلسفة بمذاهبها المختلفة على أخلاق الناس والحكومات في أوربا بقسميها وفي أمريكا، فاهتزت الأخلاق واضطربت الموازين، وسيطرت المنفعة والأنانية، وتحول الناس إلى ذئاب بشرية، ومن ثم طغت الروح الرومانية والفلسفة الإغريقية على أوربا من جديد، وصارت بعض القيم، كالصدق والأمانة والاستقامة مثلاً لا تطبق إلا في حدود القومية ومصلحة البلاد على أساس ما تجلبه من النفع لحاملها، وتبطل إذا بطلت المنفعة القريبة أو البعيدة، وهاهي المواثيق تعقد وتوثق، وفي لحظة غادرة تنقض وتصبح حبراً على ورق مجرد أن تلوح المصلحة القومية في نقض الميثاق[26]، ورغم ذلك كله فقد فتن بعض المسلمين في القرن الحالي بحضارة أوربا وظنوا أنها ذات ركائز تصلح لأن يُقتدى بها، ونسي كثير منهم أن يميزوا بين التقدم المادي والتخلف العقدي والأخلاقي، فتنوا ببعض ما يبدو من صدق وأمانة حيناً، لأنها عند القوم تؤمن لهم ثقة ووقتاً، إلا أن أخلاقهم هذه ستتغير إذا لاحت منفعة أشد، ومصلحة أقوى، فالأخلاق النفعية سمة بارزة من سمات الجاهلية المعاصرة[27]، فالنفعية البراغماتية قد توفر النفع في ميادين ولكنها تفرز الضرر في ميادين أخرى، وهذا شيء طبيعي في كل نظرية انسانية تبتعد عن منهج النبوات والوحي السماوي وإن كان فيها جزء من الحق، ترسخ هذا الاتجاه نحو الأفكار التي لها تطبيق عملي في دنيا الواقع وابتعد عن الإغراق في التنظير أو حفظ معلومات لا تفيد شيئا في الحياة العملية، وهذا المذهب النفعي أو الذرائعي كما يوصف أيضا وإن أفاد حين ابتعد عن التنظير الكثير، الا أنه تطرف في الاتجاه المادي الذي لا يبالي بالمبادئ إذا كانت الفكرة تقدم له نفعا دنيويا، كما تطرف في تمجيد النزعة الفردية على حساب المجتمع وأدخلوا الدين أيضا في دائرة النفع، يقولون: إذا كان فيه نفع لنا، يريح ضمائرنا ويبعث فينا القدرة والرجاء والخيرية ويطابق أشواقنا النفسية فلا بأس به كما يقول كبير فلاسفة البراغماتية الأمريكية (وليم جيمس)، وهو لا يتحدث عن دين معين بل يقصد أي دين، يقول: " نحن نرى المؤمن متفائلا، مستبشرا بحياته، وهو على خلاف زميله المنكر (للدين) نراه متشائماً، منقبض النفس معدوم الرجاء، فهذا يجعل لعبارة الدين معنى) أي _يزعمون _لا بأس أن نؤمن بالله في المسائل التي لا تثبت بالتجربة العملية إن كان هذا الإيمان يساعدنا في بعض جوانب حياتنا فالحق أصبح عند (جيمس) وأمثاله هو كالسلعة،

غير صادق في المستقبل. ونتيجة ذلك واضحة جدًّا وهي أنَّ صدق القضايا يتغيَّر بتغيُّر العلم، وأنَّ الأمور بنتائجها، وأنَّ الحقَّ نسبيٌّ؛ أي: منسوبٌ إلى زمان معيَّن، ومكان معيَّن، ومرحلة معينة من العلم، فليس المهمُّ إذن أن يقودنا العقل إلى معرفة الأشياء، وإنما المهمُّ أن يقودنا إلى التأثير الناجع فيها. ويقابل هذا المذهب . الذي أخذ به: شارل ساندز بيرس (1839–1914م)، ويليام جيمس (1842–1910م)، وجون ديوي (1859–1952م)، الأمريكيون/مذاهبُ فرنسيةٌ قريبةٌ منه، كقول هنري برغسون (1859–1941م): إن العقل هو القدرة على صنع الأدوات. وقول إدوارد لوروا (1870 . 1954م): تُقاس قيمة الدِّيانة بما تتضمَّنه من قواعد سلوكية، لا بما تتضمَّنه من حقائق. وقول موريس بلوندل (1861 . 1949م): إن العمل هو المحيط بالعقل، فهو يتقدَّم على الفكر ويهيِّئُه، ويتبعه، ويتخطاه، وهو تركيب داخلي لا تمثيل موضوعي.، راجع مادة Pragmatism في «الموسوعة البريطانية» Encyclopedia Britannica والمحاضرة الثانية في كتاب: «البراغماتية» لـ: وليم [ويليام] جيمس (1842–1910م)، نقله إلى العربية: وليد شحادة، دار الفرقد، دمشق، ص: 49–82.

26 –عبد الله العروي: الإيديولوجيا العربية المعاصرة، دار الحقيقة بيروت، الطبعة الثالثة 1983، ص59.

27 –وخلاصة هذا المذهب كما يقول أحد فلاسفته (تشارلس بيرس): " إذا كان لديك فكرة وأردت تحديدا لمضمونها فانظر ماذا عسى أن يكون لها من نتائج تطبيقية في دنيا العمل، قم اجمع هذه النتائج يكن لك قوام فكرتك"، أي أننا عوضا عن أن نتساءل عن مصدر الفكرة وأصلها، وبعيدا عن الحتميات والأشياء الأولية فإن البراغماتية تتساءل عن النتائج، عن الثمرة، فالفكرة هي صواب إذا كانت نتائجها مما يسعف ظروف حياتنا العملية و يفيدنا في حل مشاكلنا، وليس المقصود المنفعة الشخصية ينظر: الصوفي والظهراوي، حمدان عبد الله وجميل حسن. مفهوم نفع الآخرين في الإسلام ومدى تمثله لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة. الجامعة الإسلامية غزة كلية التربية، 2009، ص13–14

ورغم اعتداد الإسلام بالنفع المادي للإنسان واعترافه به إلا أنه لا يقرُّ أبدًا الحالة المتطرفة التي وصل إليها التيار النفعي المعاصر لسببين[28].

الأول: في حياة الإنسان السوي مبادئ عليا لا تجر نفعا ماديًّا، منها قول الصدق ولو أدى إلى ضرر شخصي للمسلم، وقول كلمة الحق أمام سلطان جائر، والعمل التطوعي والعمل الخيري ولو أدى إلى خسارة الإنسان كثيرًا من ماله ووقته، فإنه يصبر ويتحمل وليس وراء ذلك نفع مادي.

الثاني: هناك أمورٌ في الإسلام تتولى نصوص الشرع تحديد النافع والضار منها، فيكون الضرر والنفع ما يقدره الشرع ويحدده لا ما تقضي به مخرجات العمل فقط ولا ما يحدده مذهب أو طريقة ما، والشيء النافع الذي يحدده الشرع هو المنسجم مع سنن الله الكونية والتصور الإسلامي للوجود[29]، ومما لا يخفى بإن العلاقات الاجتماعية في اي مجتمع مع الآخرين لكي تكون إنسانية وناجحة ينبغي أن تتجاوز المنطق البراغماتي الذي يخرب العلاقات ويجعلها جامدة خاضعة للحسابات الضيقة وبمدى نفعية الآخر لنا على المستوى الشخصي والعملي.

المبحث الثاني: فلسفة الأخلاق من المنظور الإسلامي ونقد الفلسفة النفعية الغربية

المطلب الاول: النظرية الاخلاقية الاسلامية و أُسسها في الفكر الإسلامي // أن الركائز الأساسية التي تقام عليها الأخلاق الإسلامية تتفرد بسمات خاصة، سواء بالمقارنة باليهودية والمسيحية أو بما تضيفه من فضائل جديدة وما تنطوي عليه من ألوان الإلزام المتعددة، مع الاقتداء بالأسوة الحسنة والمتمثلة في شخص الرسول الاكرم صلوات الله عليه وآله، حيث كان بسلوكه وأخلاقه مصداقاً لما تضمنه القرآن الحكيم من تعاليم فكان - بحق وصدق على خلق عظيم - وقد استعرض بعض الكُتاب العرب ومنهم الدكتور بدوي كتب الأخلاق التي كتبها الكُتاب الغرب فوجد فيها ثغرة كبيرة، فهؤلاء الكتاب في تأريخهم للمذاهب الأخلاقية قد عرضوا لهذا المذاهب في العصور اليونانية القديمة، ثم الديانتين اليهودية والمسيحية وقفزوا منها فجأة إلى المذاهب الأخلاقية في العصور الحديثة في أوربا أي منذ عصر النهضة إلى وقتنا الحاضر، بدون أن يعرجوا في قليل أو كثير على ما يتصل بالقانون الأخلاقي في الإسلام، ومع ذلك فإن ما جاء به القرآن في مجال الأخلاق ذو قيمة عامة لا بالنسبة للحياة العملية للمسلمين أنفسهم فحسب بل بالنسبة لأبناء البشر جميعًا، وان معرفة القانون الأخلاقي كما جاء به القرآن يكمل النقص في تاريخ المذاهب الأخلاقية ويفتح آفاقًا جديدة في دراسة المشكلة الأخلاقية ذاتها وفي حل كثير من المسائل والصعوبات التي تثيرها[30]، ويرى الدكتور بدوي أن المذاهب الأخلاقية لدى فلاسفة الغرب لم تبين من الحقيقة الأخلاقية - وهي حقيقة مركبة متشابكة - إلا بعض وجوهها، إذ ان ما حدث بالنسبة للفلسفة النظرية حدث

28- محمد عابد الجابري: إشكالية الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، لطبعة 1. 1989، الخطاب العربي المعاصر. المركز الثقافي العربي، دار الطليعة بيروت، الطبعة 1،، ص38. 1982.

29- يقول ابن عاشور:" إن ما يشتمل عليه الكتاب والسنة من أخبار عالم الغيب إنما قصد منه لفت العقول والقلوب إلى ما وراء المحسوس حتى يؤمنوا به مجملا، ثم يقبلوا إلى تعلم علم يرجى منه دراية وعملا، إنه أجدر بأهل العلم في الأمة الاسلامية الاهتمام بتمحيص ما ينبني عليه عمل نجيح أو اعتقاد صحيح، وأن يوفروا زمانهم فيما هم اليه أحوج، فإن الزمان نفيس"، أنور الجندي: سقوط العلمانية: ص 16، دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى 1973.مجلة آفاق: العدد 2/3. 1993.

30- الدكتور السيد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار القلم، بيروت، د.ت، ص ٦٦ – ٦٧.

كذلك بالنسبة للأخلاق فأراد فلاسفة الأخلاق كل بدوره أن يبني قواعد الأخلاق على مبدأ وحيد فهو أحيانًا مبدأ السعادة وأحيانًا مبدأ اللذة وأحيانًا مبدأ العقل الخ[31].

معالم القانون الأخلاقي في القرآن الكريم: لقد حفظ القرآن القانون الأخلاقي الذي جاء به نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن القانون لم يأت على كل شكل كتلة واحدة وإنما ورد كآيات متفرقة في عدد من السور، هكذا يحدد القرآن الفضيلة ويسمو بالإنسان للارتقاء الأخلاقي المنشود، ويصنع له الخطة التربوية لبناء المجتمع الفاضل، كما نقد علماء المسلمين لفكرة الفضيلة في فلسفة أرسطو الأخلاقية لكونها اعتبارية ولا يجمعها حد جامع واضح يميز تمييزًا دقيقًا بين طرفي التفريط والإفراط، وفي العصر الحديث نظر الدكتور دراز للآيات القرآنية و استخلص منها تعريفًا منضبطًا للفضيلة بالنظر إلى المستويات الإنسانية منها، فإن طرق الناس في سلوكهم لا يتعدى صدورها عن إحدى النزعات الثلاث الآتية: إما نزعة الاستئثار وإما نزعة الإيثار وإما نزعة المبادلة والمعادلة[32]، إذ أن البيان القرآني أفاض في ذم سجية الأثرة والبغي والعلو، بينما وزع القيم الأخلاقية قسمة ثلاثية في طرفها الأعلى فضيلة الإيثار والطرف الأدنى رذيلة الاستئثار، ولم يعد مبدأ المقاصة الدقيقة في الحقوق والواجبات فضيلة أو رذيلة، لأنه بمثابة رخصة مباحة لا يستحق المدح أو الذم وآية وذلك في قوله تعالى: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: ٤١ - ٤٣] فالنهي أولًا عن تعامل الناس بالفاحش من القول لأنه يستوجب غضب الله، مع استثناء من كانت إساءته ردًا لمظلمة، ثم وضع الخطة الحميدة والفضيلة المندوب إليها وهي خطة العفو حتى يستحق مغفرة الله {أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور: ٢٢] وهكذا تمضي إرشادات القرآن الحكيم ناهية عن التزيد في حق النفس، حاضة على الزيادة في حق الغير، مخيرة المعاملة بالمثل دون نهي عنه أو تحريض عليه [33]، وهذه سمة أولى من سمات الفضيلة و السمة الثانية فتتعلق بنفاذها إلى أعماق الضمير حتى يتشربها القلب فتصدر عنه بترحاب وطيب خاطر ومحبة، لا عن جهاد خلقي شاق، على عكس بيان الفلاسفة، فقد أشار مؤرخو الفلسفة إلى زعم سقراط أن الإنسان مجرد عقل فحسب، ثم أضاف أفلاطون إليه العاطفة، وجاء أرسطو فرأى أن الإنسان يشتمل أيضًا على إرادة فعالة، مبينًا أن الفضيلة ليست علمًا تنزع بصاحبه إلى العمل مع قصور الهمة ولكنها في هذه الحالة، قد تصبح الفضيلة عملًا آليًا تسخيريًا تمجه النفس، أما الفضيلة في القرآن الكريم فهي ترتقي بالنفس الإنسانية لتصبح عملًا انبعاثيًا محببًا إلى القلب ومصداق ذلك قوله تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحجرات: ٧، ٨]، وقد رسم القرآن الحكيم الطريق العلمي لتربية الإنسان الفاضل مخاطبًا الفرد والمجتمع، فإذا كان المجتمع هو الأساس الأول الذي يقوم عليه بناء الدولة، فإن العناية بالفرد وهو لبنة في بناء المجتمع يصبح ضروريًا وأساسيًا إذا أردنا لهذا البناء القوة والمنعة فإذا أردنا الارتفاع بالمستوى الأدنى والأوسط إلى القمة، فعلينا البدء بالأخلاق لأنها أول الخيط الذي يصل بنا إلى الغاية[34]، وقد وضع الإسلام فلسفة إصلاح المجتمع وتقويمه على قاعدتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك فإن القرآن يحدد الفضيلة ويسمو بالإنسان للارتقاء الأخلاقي المنشود، ويصنع له الخطة التربوية لبناء المجتمع الفاضل، ثانيًا- الفضيلة في العلاقات بين الأفراد: من هذه الآيات قوله تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} [النساء: ٨٦].

31- مقدار بالجن، الاتجاه الاخلاقي في الاسلام، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص 54.

32- عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، دار القرآن الكريم ودار القلم الكويت ١٣٩١ هـ- ١٩٧١ م ترجمة محمد عبد العظيم، مراجعة د. سيد بدوي، ص ٩٢.

33-المصدر نفسه، ص 97.

34-عبد الله دراز، (دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن) ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوي دار البحوث العلمية- الكويت ومؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣ ، ص65.

النظرية الأخلاقية الإسلامية: إن الإسلام أنصف في نظرته للإنسان، حيث حدد تركيبته الجسدية والنفسية، وأشبع حاجاتهما في اعتدال وتوازن ليس له نظير، كما راعى الفروق الفردية وأصحاب الاحتياجات الخاصة أيما مراعاة، ونظر إلى المنفعة الدنيوية محاطة بالأحكام فالمنفعة جائزة بشرط ان تكون مباحة وان لا تتسبب في ضرر له أو للغير، تدرس نظرية الأخلاق الإسلامية الأسس العقلية والدينية للقواعد والمبادئ التي ينبغي أن يعمل الإنسان بمقتضاها في مناحي الحياة المختلفة، مستمدة من مصادر الوحي، كما تدرس النظرية تجذر هذه الأسس في التصور الإسلامي عن علاقة الإنسان بالله، وعلاقته مع البشر، وتجيب بالضرورة عن إشكاليات فلسفية تساءل أسس السلوك الإنساني ومعاييره ودوافعه، ومصدر هذه المعايير، ومن هذه الإشكاليات معيار الخير والشر، ومصدر الإلزام الخلقي، ومفهوم المسؤولية الإنسانية وشروطها وعلاقتها بالحرية الإنسانية.... وغيرها، وبذلك تمتاز القيم والأخلاق في الإسلام عن غيرها من الفلسفات الوضعية التي تنادي بنفس القيم، أنها قيم عميقة مرتبطة ببعدها العقدي والإيماني، وإنسانية أصيلة بمعنى مطابقة هذه الأخلاق التي نادى بها الإسلام للفطرة الإنسانية والمرتبط أساساً بمحفزات الثواب والعقاب الأخروي، و وصف لطبيعة النفس البشرية وخصائصها من نفس لوامة، إلى نفس أمارة بالسوء، إلى نفس مطمئنة، كل ذلك تتمحور المعالجات حول إرشادات القرآن الكريم وفلسفته العميقة والشاملة للأخلاق والقيم، و أنه لا يمكن تفعيل الأخلاق الإسلامية إلا من خلال تضافر جهود الواعظ المصلح الذي يعمق الأخلاق من خلال خطاب الثواب والعقاب الأخروي ويقررها كمبدأ[35]، ثم من خلال خطاب الفقيه الذي يبين درجة المسؤولية التكليفية في الالتزام بالقيم بناء على الأدلة الإجمالية والتفصيلية التي بين يديه، وهنا نجد أن القرآن الكريم كثيراً ما يبين حول علة التكليف بالقيم كمستند فلسفي ضروري ولا يكتفي بالسرد الوعظي لحمل البشر على التزامها بناء على الطمع في ثواب الجنة والخوف من النار فحسب، ففي قضية مثل قضية الكذب يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) فالقرآن الكريم عندما يمنع المسلم من الكذب الذي قد يحقق مصلحة بسيطة، لكن في الوقت نفسه يحميه من أن يكون ضحية لسيل من الكذب في مجتمع متحلل من القيم لا يتورع في نسج سيل من الأكاذيب التي تهدد أمن المجتمع، والقرآن الكريم حينما يمنع من سفك الدم الحرام الذي قد يحقق لك مكسباً مادياً، ويرسخ مفهوم عصمة الدماء في المجتمع، فإنه في نفس الوقت يحميه من تحول المجتمع إلى مجتمع متوحش لا يعير أية أهمية لحرم الدماء، إذن تفعيل القيم في مجتمعاتنا لا بد أن يمر في عدة أطوار حتى نجني ثمارها ونعيد لها فاعليتها بدأ من تقرير المبدأ والإيمان به كأمرٍ تكليفاً من الله تعالى، إلى فلسفة مقصده وقياس مردوه، كما أن فلسفة القيم في الإسلام تدور كلها حول تحقيق البعد الأمني للمجتمع، من خلال التزام أفرده الذاتي[36]، اما المذاهب الأخلاقية الغربية فلا يخفى ما تحويه أسس هذه المذاهب من شائبات فمثلاً يتجاهل كانط الغالبية من البشر بمكوناتهم المذهبية والعاطفية الذين يسعون بتصرفاتهم وسلوكهم إلى غايات تختلط فيها الأهداف بتحقيق منافع أو بحث عن سعادة، أو تحكم أعمالهم دوافع الرجاء أو الخوف، وتتعدد واجباتهم بتعدد الأحوال والعلاقات و إن قانون الواجب الصارم الذي يصلح فقط لقلة خاصة من ذوي الإرادات الحديدية الذين لا يحققون من سلوكهم إلا عمل "الواجب فحسب، حتى لو أدى ذلك إلى تضحيات بالمال والوقت

35–وحتى يحمي الإسلام هذه المنظومة القيمية المحكمة من الهدم، كان لا بد من المؤيدات الجزائية والعقاب والقصاص، من أجل حماية أسوار القيم من كل من يحاول أن يتجاوزها ويهدمها ليُغرقَ المجتمعات بالفوضى والشقاء والتوحش وبذلك فإن تفعيل القيم في مجتمعاتنا لا بد أن يمر في عدة أطوار حتى نجني ثمارها ونعيد لها فاعليتها بدأ من تقرير المبدأ والإيمان به كأمرٍ تكليفاً من الله تعالى، إلى فلسفة مقصده وقياس مردوه النفعي المباشر أو غير المباشر على النفس البشرية الملتزمة به والمجتمع الذي يحرسه، وصولاً إلى تقنينه في شكل نظام عام يأخذ صيغة الإلزام القانوني، وانتهاءً بتقرير المؤيدات الجزائية التي تعاقب كل من يخالف هذا النظام ردعاً له وحمايةً لأسوار القيم من الانهيار، عبد الله دراز، (دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن) ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوي دار البحوث العلمية– الكويت ومؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٣ هـ– ١٩٧٣ ، ص65.

36–عبد الله دراز، (دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، ص69.

والراحة وغيرها"، وان الواجب الكلي العام يمكن ان نقبله، ولكن ينبغي أن نفرق بين درجات كثيرة من العمومية فإن لها امتدادًا بقدر ما لها من مفاهيم:" الواجب الأبوي والأموي، والزوجي، والبنوك، واجبات الرياسة والصداقة والمواطن والإنسان واجب العمل وواجب التفكير وواجب المحبة[37]، ويذكر القرآن الكريم إن من الحياة الطيبة التمكين في الأرض للصالحين ووفرة الخيرات في الأرض، والصحة النفسية التي تساعد على الصحة الجسدية، كما أن تطبيق الأوامر الشرعية فيه حياة للناس كقوله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة/179) وفي المقابل يقدم القرآن أمثلة عن آثار العمل الضار ويصف الشقاء الذي يقع فيه الذين يبتعدون عن الإيمان والأعمال الصالحة (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ)(طه/124) ومن اثار البعد عن الايمان تمزق المجتمعات والفرقة والشقاق[38] وذلك لأن معيار النفع والضرر هو شيئ فطري في الانسان، فهو يختار ما ينفعه ويبتعد عما يضره، إلا إذا انحرفت فطرته فأصبح يميل إلى الأشياء الضارة [39]، لكن مع النظرات القاصرة للإنسان ولرسالته في الحياة ظهرت فلسفات تعلي من جانب المادة، وتقصر الهم على الحياة الدنيا، فلا نعيم إلا فيها، ولا شقاء إلا في الحرمان من ملذاتها، فتجاهلت من ثم الدين والروح وتأتي فلسفة بنتام النفعية على رأس تلك الفلسفات والتي كان لها أبلغ الأثر في جمهرة العلمانيين والليبراليين على السواء، فرددوا عباراته، وانتهجوا نهجه، معلنين أن لا سبيل إلى الحرية والتقدم إلا من خلال السير على هداه، وانتشرت التعاليم البراجماتية النفعية في المجتمع العربي الاسلامي، حتى صار المال بين الناس إلهًا! فأنَّ انتشار هذه التعاليم سببٌ في تدمير المجتمع الاسلامي، بل في تدمير الإنسان نفسه، ولابد من رفَع الالْتباس عن بعض المسائل الدقيقة؛ مثل: أنَّ المال ليس هو المنفعة الوحيدة للبراجماتيين، وأنَّ الإسلام ليس ضدَّ المنفعة، وأهمية الالتجاء إلى الإسلام كحلٍّ حضاري، وأمَّا الأثر الخاص لتلك القِيم البراجماتية؛ فهو انتشار ما أُطلق عليه (الإسلام البراجماتي) [40]، ولا يخفى بان جلب النفع ودفع الضر طبيعة بشرية، فكل إنسان يبحث عما فيه منفعة وفائدة له، ويحفظ نفسه وينأى بها عن كل ما قد يؤذيه أو يسبب له ضررا، وهذا أمر محمود لا غبار عليه ما دام الانسان يستخدم الوسيلة المناسبة والصحيحة لتحقيق هذا الهدف، وذلك لأن الاسلام كما يتعبدنا

37- ونتساءل بعد ذلك "وهل من حقنا أن نقول لرئيس أن يعامل من هم أعلى منه رتبة معاملته لمرؤسيه؟ وأن نطلب إلى زوج أن يعامل كل نساء الدنيا كما يعامل زوجته والعكس؟"، ثم يطرح لنا البديل في تنفيذ أوامر الشرع ونواهيه وهي التي تجعل المؤمن لا يذعن للواجب "كفكرة" أو "ككائن عقلي" ولكنه يذعن له من حيث هو صادر عن الله تعالى الذي زودنا بالعقل وأودع فيه الحقائق الأولى، بما في ذلك الحقيقة الأخلاقية في المقام الأول، وفي خصوص ارتباط الأخلاق بالدين، فإننا نرى واحدًا من أشد خصوم هذه الفكرة ومن أبرز الذين سعوا للفصل بينهما، نراه تسليم بالارتباط الوثيق بينهما يقول دوركايم "إن الأخلاق والدين قد ارتبطا ارتباطًا وثيقًا منذ أمد بعيد، وظلا طوال قرون عديدة متشابكين، فلم تصبح العلاقات التي تربطهما علاقات خارجية أو ظاهرة، ولم يعد من السهل فصلهما بعملية يسيرة كما نتصورعبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص ٢٨٢

38- محمد إبراهيم مبروك، الإسلام النفعي (الإسلام الذي تريده أمريكا)، الناشر: مركز الحضارة العربية – القاهرة، الطبعة: الثانية (العربية الأولى)، سنة الطبع: 2010م

39- إميل دوركايم، التربية الأخلاقية، تر: هاشم اشيقر، دار الطليعة، بيروت، 1897، ص ١١.

40- وهو أَوْلى القضايا في هذا المضمار وأخطرها، وبراجماتية الدِّين تعني باختصار: الوقوف موقفَ المنتفع من الدِّين، وتكييفيه بالطريقة التي تُريح، فهو بمنزلة المخدِّر المؤقَّت، وليس هناك تفضيلٌ بين الأديان، فعلى الجميع أن يجرِّبوا من الأديان ما يناسبهم – بحسب طريقة جيمس!، **وأمَّا البراجماتيَّة في الإسلام فتعني النفعية من الدِّين**، وحذَّر العلماء من تغلغلها في المجتمع، مشيرًا إلى أن الممثِّلين للإسلام البراجماتي عِدَّة نماذج؛ منهم: المثقفون المسلمون الذين استهلكتْهم الأفكار الغربيَّة، ومنهم: الذين يعشقون الزعامة خصوصًا من الملتزمين بالدِّين...إلخ محمد مصطفى أحمد البيومي، فلسفة بنتام النفعية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا، 2014

بالغايات فهو يتعبدنا بالوسائل، فمن كانت غايته شريفة فلابد أن تكون وسيلته شريف أيضا، فليس من الدين أن يسعى المرء للمنفعة بالكذب والنفاق والمدح الكاذب والتخلي عن الثوابت، ونبذ الأخلاق، والنفعيون يزعمون" أن أفضل سلوك يمكن أن يقوم به الإنسان هو ذلك الذي يحقق له أقصى منفعة ممكنة"، **والنفعيون لا تعنيهم الوسيلة المستخدمة، كما لا يعنيهم إن كان هذا السلوك سوف يسبب ضررا للآخرين أم لا والعجيب أنهم يعتبرون " النفعية " مذهبا أخلاقيا وهو أبعد ما يكون عن الأخلاق والقيم والمبادئ**[41]، ورغم أن المذهب النفعي ظهر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين إلا أن النفعية كانت موجودة من قديم الأزل، والنفعيون كانوا موجودين في كل العصور وعلى كل الموائد، وقد تميز اليهود على مر التاريخ بهذه العقلية التي تعلي من شأن النفعية وتجعلها دينا ومنهج حياة وليس مجرد مذهب فكري، فاليهود يقدمون المنفعة والمصلحة على كل شيء، فهم يفضلون الذلة مع الشبع والراحة على العزة مع الجوع والتعب حتى ولو كان ذلك على حساب الدين[42].

وبين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ولكي لا تتطور الأنانية ولا تذوب الغيرية[43]، فإن هناك اتجاهات ثلاثة.

1. الاتجاه المادي: يرى أن الأولوية لمصالح الفرد المهم مصلحتي أولاً ثم مصلحة الأخر فهي ثانياً الأولوية لمصالح الفرد هذا الاتجاه هو الاتجاه السائد في الغرب، فالاتجاه المادي يرتكز على نقطة وهي «غريزة حب الذات» وهناك قوة جاذبة وهي المعبر عنها بالشهوات والقرآن الكريم يعبر عنها بالنفس الأمارة قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ وهناك قوة دافعة للألم وهي القوة الغضبية هاتان القوتان تتفرعان على غريزة حب الذات، فبما أن غريزة حب الذات أقوى غريزة يعيشها الإنسان إذن لابد أن نحقق للإنسان مصالحة الشخصية لأن تحقيق مصالحة الشخصية يرضي غريزة حب الذات فالاتجاه الصحيح في نظر الماديين هو

41- ومن الأُسس الموضوعيَّة لانتصار القِيم الإسلاميَّة على القِيم البراجماتيَّة: الجهاد ضدَّ التبعية والاستبداد وقول كلمة الحق عند كلِّ سلطان جائر وكل قوَّة طاغوتيَّة مستبدَّة تفرض على الناس ما تريد، وتعوق سير الدَّعوة إلى الله تعالى، كذلك الوعي الحقيقي بمدى واقعيَّة الإسلام ورحمته بالناس، والبُعد عن التلويح ببعض الأحكام الظاهريَّة له دون مراعاة لما يتعلَّق بهذه الأحكام، ومما لا يخفى بأن لا مكان لتلك الأفكار البراجماتيَّة المسمومة في مجتمع يُطبَّق فيه الإسلام كاملًا، وتسود فيه قِيمُه السامية في إطارٍ من العدالة الاجتماعيَّة الحازمة.

42- عندما خرج اليهود من مصر سرقوا أموال المصريين وحليهم (كانت نساؤهم قد استعارته ليتزينّ به في العيد) ولما قال لهم هارون بأن هذا الأمر خيانة للأمانة وسرقة و أمرهم عليه السلام بالتخلص منها رفضوا ذلك، وتنكروا لنعمة الله عليهم الذي نجاهم من الغرق وصنعوا من هذا الذهب عجلا ليعبدوه، جاء في سفر الخروج: (ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيمَ. وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّيَّةِ سِينٍ، الَّتِي بَيْنَ إِيلِيمَ وَسِينَاءَ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هذَا الْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ). د.أحمد سعد الغانمي، الشخصية النفعية وأخطارها

43- والغيرية: هي عبارة عن التضحية بالمصالح الشخصية لأجل مصلحة الغير لأجل مصلحة الأخر نظير الأم التي تضحي بنومها تضحي بوقتها تضحي بجسمها في سبيل مصلحة أبنائها، نظير الذين يسخرون جهودهم وأوقاتهم في جمعيات خيرية وفي لجان كافل اليتيم فأن هذه التضحية من أجل الآخرين يعبر عنها بالغيرية، فمنذ القدم من عهد أفلاطون وسقراط بحث علماء الإنسانية حول هذه النقطة هناك مصالح فردية ترتبط بالإنسان وهناك مصالح اجتماعية ترتبط بالآخرين وقد يقع التعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، نظر: مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2004م)، ص62.

الاتجاه القائل «المصلحة الشخصية أولاً» لأن هذا الاتجاه ينسجم مع طبيعة الإنسان ينسجم مع غريزة ذاتية ألا وهي غريزة حب الذات[44].

2. **الاتجاه الماركسي:** وهو الاتجاه المعاكس تماماً للاتجاه الأول، حيث يقولون الأولوية للمصالحة العامة ينبغي أن تذوب المصلحة الشخصية في المصلحة العامة ينبغي أن تذوب مصالح الفرد في مصالح الغير فالفكر الماركسي يركز على أن غريزة حب الذات ليست غريزة متأصلة في الإنسان[45]، وبذلك ذهبوا الى ان القول بتغير الثقافة فإذا تغيرت الثقافة اضمحلت غريزة حب الذات وحل محلها غريزة حب الجماعة.

3. **الاتجاه الإسلامي:** والذي يقول: لا أولوية لمصلحة الفرد على مصلحة المجتمع ولا أولوية لمصلحة المجتمع على مصلحة الفرد المصلحتان في أطار واحد و المصلحتان كفتان لميزان واحد ينبغي أن يكون النظام نظاماً توفيقياً بين المصلحتين، فبين الاتجاه الذاتي والاتجاه الاجتماعي (بين الأنانية وبين الغيرية) ينبغي أن يكون النظام نظاماً توفيقياً بينهما، أي ان الاتجاه الإسلامي يبتني على مجموعة ركائز: فالركيزة الأولى هي ركيزة طبيعية ركيزة تكوينية، تقول: ان الإنسان عنده غريزتان بالفطرة غريزة حب الذات وغريزة حب الجماعة ولد وعنده الغريزة، فالاتجاه الماركسي الذي يلغي غريزة حب الذات ويرى أنها وليدة وليست أصيلة اتجاه خاطئ غريزة حب الذات أصيلة ومستحكمة ومسيطرة على الإنسان[46]، إذن غريزة حب الذات غريزة متأصلة لدى الإنسان لا مفر منها حتى المعصوم يحب ذاته لا يوجد إنسان لا يحب ذاته ومعها غريزة حب المجتمع حب الناس، الإنسان ولد وهو يحب الآخرين لأن المجتمع الإنساني ليس مجتمع وحشي بل هو مجتمع مبني على علاقات إنسانية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾،فالإسلام لا يرى مشكلة في غريزة حب الذات وليست المشكلة في غريزة حب الذات هذه شيء إنساني لا نستطيع أن نغيره إلغاء غريزة حب الذات إلغاء للإنسانية وإنما المشكلة في «الثقافة» لا في غريزة حب الذات المشكلة في ثقافة الحياة، والدين الاسلامي من أجل وضع ثقافة توفق بين حب الذات وغريزة حب المجتمع جعل المبادئ من هذه المبادئ هي امتداد الحياة، اي ليس الحياة هي الحياة المادية التي نعيشها خمسين سنه أربعين سنة سبعين سنه هذا الذي يقدر للإنسان هذه ليست هي الحياة بل هي محطة من محطات الحياة، الماديون هم الذين يقولون قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ

44- اذ يدعون ان غريزة حب الذات جاءت وتولدت عن ثقافة عاشتها الإنسانية وهي ثقافة الفرد يعني الإنسان منذ أن سكن كوكب الأرض لم يكن قد تربى تربية عقلانية تربية هادفة ولأجل عدم تربية شاعت عنده نزعة الفرد تستأثر بالثروات واحتكر الأشياء لنفسه ونتيجة شيوع ثقافة الفرد برزت الحروب وظهرت الطبقية وظهرت ظاهرت الرق والاستعباد في المجتمع كل هذه المفاسد جاءت نتيجة ثقافة أسمها «ثقافة النزعة الفردية» وهذه الثقافة ولدت شيء اسمه غريزة حب الذات وإلا غريزة حب الذات ليست متأصلة في الإنسان هي وليدة ثقافة.

45- توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق: نشأتها وتطورها، (القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الرابعة، 1979م)، ص216.

46- لو سألت الماركسي لماذا نشأت الحروب؟! لماذا انتشرت ظاهرة الطبقية في المجتمع؟! سيقول لك منشئها ثقافة النزعة الفردية فسأله ما هو منشأ ثقافة النزعة الفردية؟! منشئها غريزة حب الذات لو لم تكن لدى الإنسان غريزة حب الذات لما نشئت ثقافة النزعة الفردية، ولو لم ينشر ثقافة النزعة الفردية لمَ ظهرت ظاهرت الطبقية والاستعباد وأمثال ذلك، إذن المنشأ الأول غريزة حب الذات، حتى الشخص الذي ينتحر لا تتصور أنه لا توجد عنده غريزة حب الذات «لا» يحب ذاته بل العكس الذي دعاه للانتحار حبه لذاته لو لم يحب ذاته لمَ انتحر الإنسان الذي يقدم على الانتحار يرى أن في الموت أرضا لذاته راحة لذاته تخليص لها من ألم الحياة ومصاعب الحياة فهو إنما يندفع للانتحار انطلاقاً من غريزة حب الذات وان أرتكب جريمة في قتله وإزهاقه لروح بشرية، الشهيد ربما تتوهم أن الشهيد لا يوجد عنده حب لذاته شهيد بدل نفسه في سبيل القيم في سبيل الدين «لا» حتى الشهيد الذي دعاه للشهادة غريزة حب الذات لو لم يحب ذاته لم يستشهد في سبيل الله لماذا؟! لأن الشهيد قبل موته يتأرجح بين لذتين لذة الحياة المادية ولذة الشهادة لذة الحياة المادية لذة مادية حسية لكن لذة الشهادة لذة روحية عقلية الشهيد يتأرجح بين لذتين ثم يختار اللذة المعنوية على اللذة المادية، الشهيد إنما يقدم على التضحية بنفسه أرضا لذاته لأن ذاته تتطلع إلى لذة كبرى إلا وهي لذة الشهادة كالذي دعاه للشهادة غريزة حب الذات.

إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يعني يموت كبارنا ويحيا صغارنا فالإنسان الغربي إذا أنكر امتداد الحياة وأمن أن الحياة هي الحياة المادية فقط سوف يرى تعارض بين غريزة حب الذات وغريزة حب الجماعة، اما المبدأ الثاني فهو مبدأ التعويض الإسلام يقول: كل ما تبدله فهو معوض لا ان يذهب هدراً ما تبدله على الفقراء على المحتاجين إذا بذلت وقتك لتعليم وإذا بذلت جهدك لخدمة الناس كل ما تبذله مال وجهد وقت لن يذهب هدراً معوض في محطة أخرى في موقف أخر من مواقف الحياة الطويلة، الإسلام يطرح مبدأ التعويض هذا المبدأ يوفق بين غريزة حب الذات وبين غريزة حب المجتمع[47]، إذن مبدأ التعويض مبدأ وفق بين غريزتين ووفق بين المصلحتين، اما المبدأ الثالث فهو اللذة في تأجيل اللذة، فاللذة تقسم على قسمين: لذة حسية ولذة عقلية «معنوية» إذ يقول الإسلام لا يوجد تعارض بين غريزة حب الذات وغريزة حب المجتمع، من بدل أمواله للفقراء ضحى بلذة مادية لأن كان بإمكانه أن ينفق هذه الأموال في أوروبا وماليزيا ضحى بلذة المادية ولكنه في نفس الوقت حصل على اللذة المعنوية وهي الشعور بالمسؤولية الشعور بأنه ساهم في إنعاش المجتمع الشعور بأنه حقق مصلحة عامة فحل على لذة ترضي غريزة حب الذات أشد وأعظم من اللذة الحسية، إذن الإسلام في فلسفته وفق بين الغريزتين وجمع بين الطرفين، أي ام من الركائز الأساسية في الإسلام هي ان لا مصلحة للفرد إلا في أطار مصلحة المجتمع[48]، لكن السؤال الذي يطرح هنا هل ان الأنانية متأصلة في الإنسان؟ لا، صحيح ان غريزة حب الذات متأصلة لكن الأنانية بمعنى التضحية بمصالح الآخرين من أجل مصالح الإنسان هذه طارئة على الإنسان فالتربية أحيانا يربي الإنسان في أسرة على حب الأموال[49]، فعندما تربى الأسرة الولد على أن المال هدف بينما المال وسيلة إذا ربي على أن المال هدف أصبح إنسان أناني قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ بينما أسرة الامام امير المؤمنين علي والسيدة فاطمة الزهراء (عليهما السلام) ربت الامامين الحسنين(عليهما السلام) على أن المال لا قيمته له والطعام لا قيمته له والحسنان صغيران يتصدقان بقرصيهما ثلاثة أيام ويبتان لا يشربان إلا الماء حتى صار يرتعشان كالفرخ قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا *وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا *إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا﴾ وفي رواية ان الإمام الصادق (عليه السلام) حينما جاء محمد بن علي الخرساني من خرسان إلى الإمام الصادق سأله الإمام كيف أهل خرسان؟! قال: أن الشيعة عندنا لكثير، قال الإمام الصادق (عليه السلام) أيعطف غنيهم على فقيرهم؟! أيتجاوز محسنهم عن مسيئهم؟! أيتواسون؟! قال لا، قال: ليس هؤلاء بشيعة إنما الشيعة من يفعل ذلك ". علامة التشيع المواساة عطف الغني على الفقير تجاوز المحسن عن المسيء هذه هي علامة التشيع الحقيقي وإلا فهو تشيع صوري[50].

اما فيما يخص مراتب العطاء فمنها الإيثار اي أن تعطي ما تحتاج إليه هذا يسمى إيثار وهو مرتبة عالية من مراتب العطاء، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾،:فالمرتبة الأعلى من العطاء هو الإيثار (الغيرية) والذي يعني أن الانسان لا يرى لنفسه قيمة بل يرى نفسه وسيلة للقيم والمبادئ يرى نفسه وسيلة لخدمة الآخر وفي سيرة ائمة اهل البيت (عليهم السلام) تجسدت هذه المرتبة في الامام زين العابدين (عليه السلام) في سيرته وحياته كما سنفصل ذلك في المطلب الثاني من هذا المبحث بمشيئته تعالى.

47- إذا أمن الإنسان بأن ما يبدله للفقراء سوف يتحول إلى نعيم سوف يتحول إلى حياة مريحة سوف يتحول إلى ثواب لين يذهب هدراً، إذن بالنتيجة: بدلي للفقراء يحقق مصلحتين: مصلحة عامة: لأني أنعشت فقراء المجتمع ومصلحة خاصة: لأني هيأت للنفسي بهذا البدل نعيم هيأن لنفسي بهذا البدل ثواب بدلي للفقراء يرضي غريزة حب الجماعة لأني أنعشت فقراء المجتمع ويرضي غريزة حب الذات لأنه يعطي الذات عوض ونعيم وثواب في الآخرة.

48- انظر: إسماعيل الفاروقي، التوحيد: مضامينه على الفكر والحياة، ترجمة: السيد عمر، (القاهرة: مدارات الأبحاث والنشر، الطبعة الثانية، 2014م)، ص55-58.

49- وائل حلاق، الدولة المستحيلة، ترجمة: عمرو عثمان، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، 2014م)، ص246.

50- انظر: أنور الجندي، "محمد عبد الله دراز في آثاره العلمية"، ضمن مؤلف جماعي بعنوان "محمد عبد الله دراز: دراسات وبحوث"، (الكويت: دار القلم للنشر، 2007م)، ص53.

أُسس النظرية الأخلاقية الإسلامية:

الإلزام: وهو أهمُّ ركن تنبني عليه الأنظمة الأخلاقية في المجتمعات البشرية، فلا بدَّ أن "يستند أيُّ مذهب أخلاقي جدير بهذا الاسم على "فكرة الإلزام" فهو القاعدة الأساسية، والمدار الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي، ذلك أنه إذا لم يعُد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدمت المسؤولية فلا يمكن أن تعود العدالة؛ وحينئذ تتفشى الفوضى فالإلزام الأخلاقي مبدأ يستند إلى القرآن الكريم باعتباره كتابَ إلزام وتكليف، نظرًا لكثرة واجباته الأخلاقية الإلزامية، من قبيل: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى} [النحل: 90]،وإن الأخلاق القرآنية قائمةٌ على فكرة الواجب الذي يخاطب فينا ملكات النَّفْس المسؤولة عن تخليق ذواتنا وتزكية قلوبنا، إذ أن الخطاب القرآني " لم يقتصر على الملكات العقلية وحدها[51]، فلقد عُني في الوقت نفسِه عناية كبيرة بإيقاظ أشرف مشاعرنا وأزكاها، ومن المشاعر السامية التي حركها القرآن الكريم فينا، نذكر على سبيل المثال ما جاء فيه دعمًا لسائر واجباتنا الاجتماعية، بالمعنى الأوسع لكلمة (مجتمع)، ألا وهو الشعور بالأخوة الإنسانية ولا نتصور قاعدة أخلاقية بدون إلزام، ومن مميزات القواعد الأخلاقية أن الشرع الإلهي يأمرنا بها، والبصيرة الخلقية بداخلنا تحثُّنا عليها باستمرار وتلومنا في حال عدم احترامها[52].

المسؤولية الأخلاقية: وهي عنصر مهم جدًّا في النظرية الأخلاقية؛ فهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرتَي الإلزام والجزاء، و"هذه الأفكار الثلاثة لا تقبل الانفصام فالإلزام بلا مسؤولية يعني القول بوجود إلزام بلا فرد ملزَم، وليس بأقل استحالة من ذلك أن نفترض كائنًا ملزمًا ومسؤولًا بدون أن تجد هذه الصفات ترجمتها وتحققها في جزاء مناسب" وهذا الربط بين المسؤولية والإلزام هو سِرُّ التزام الفاعل الأخلاقي بالخلق الحميد فالحساب أو تحقق المسؤولية شرط لازم للالتزام الأخلاقي وقد حصر القرآن الكريم المسؤوليات في ثلاثة أنواع: "المسؤولية الدينية، والمسؤولية الاجتماعية، والمسؤولية الأخلاقية الخالصة وذكرها القرآن في آية واحدة بنفس الترتيب، قال سبحانه: {يا أيُّها الَّذين آمَنوا لا تَخونوا الله والرَّسولَ وتَخونوا أَماناتِكُم وأَنْتُم تَعْلَمون} [الأنفال: 27]"[53] ولو حاولنا

51- إن الفضيلة الخلقية، "بالإضافة إلى جمالها الذاتي مُؤثرة ومُحركة بطبيعتها، تدفعنا إلى العمل لكي نجعل منها حقيقة فعلية؛ لأن الخير الأخلاقي يتميز بتلك السلطة الآمرة تجاه الجميع، وبتلك الضرورة التي يشعر بها كل إنسان بوجوب تنفيذ نفس الأمر، مهما كانت حالته الشعورية، مما يجعل مخالفة ذلك بغيضة ومستهجنة"، ويرى الدكتور عبد الله دراز أن الواجب الأخلاقي القرآني يختلف عن الواجب الأخلاقي لدى الفيلسوف الألماني كانط الذي اتسمت نظريته في الأخلاق بالشكلية المحضة، فقد ربط كانط أخلاق الواجب بـ"سلطة عليا تفصل في الأمر، هذه السلطة ليست المجتمع على كل حال؛ لأن الموضوع يتعلق بالسلوك الأخلاقي لا بالتشريع... واعتقد أنه وجدها في العقل في صورته الصافية المجردة، برغم اعترافه بعجز العقل عن التوصل إلى تحديد الواجبات الإنسانية"

52- فعلى سبيل المثال، دعانا القرآن إلى "أن نتقبل من أهلينا كل تسوية للصلح، حتى ولو كانت في غير صالحنا، ويؤيد دعوته بتلك الحكمة: {والصلح خير}... ولكي يُسوغ قاعدة الحياء، التي تطلب من الرجال أن يغضوا أبصارهم ويحفظوا فروجهم، نجده يسوق هذا التفسير {ذلك أزكى لهم}"[35]، فهذا الاعتبار الأخلاقي الذي يقرن به القرآن واجباته الأخلاقية يدفع الإنسان إلى التأمل القلبي في الواجب الأخلاقي، تمهيدًا للاستحواذ على قبوله. أن النظرية القرآنية جمعت الفكرة بالموضوع، والشكل بالمادة، والغرض بالتجربة، وبيَّن أن الإلزام الأخلاقي القرآني إنما هو توليفة من مثلٍ أعلى قادم من المشرع الأخلاقي، ومن الواقع الحاضر؛ وهو تركيب يُرشد الضمير الإنساني الذي هو الرابطة المتينة بين "المثل الأعلى" و"الواقع"، بحيث ينشأ عن هذا المزج ثبات القانون الأخلاقي

53- اأن قيام المسؤولية الأخلاقية والدينية مشروط بشروط كما الآتي الطابع الشخصي للمسؤولية، الأساس القانوني للمسؤولية: يعلمنا القرآن ألَّا أحد يُحاسَب على أفعاله، ما لم يكن قد علم بالأحكام مسبقًا، ويكون هذا الإعلام بطريق خارجي وهو الشرع

أن نقارن مبدأ المسؤولية الأخلاقية في النظرية الاخلاقية الاسلامية مع بعض النظريات الأخلاقية الحديثة، لَقُلنا: إن المسؤولية الأخلاقية الاسلامية هي صمام أمان انضباط الإنسان أخلاقيًّا، وضامن عنصر الإلزام الأخلاقي، وبها يستطيع الفرد الخروج من دائرة الأنانية المقيتة المتمركزة حول الذات الفردية[54].

الجزاء: ان القانون الأخلاقي يتوجه بقواعده الخلقية إلى إرادتنا الطيبة[55]، فهو بذلك يُلزمنا بأن نستجيب لدعوته، وبمجرد ما نجيبه نتحمل مسؤولياتنا، وأخيرًا يقوّم القانون مواقفنا حياله، ثم يجازينا، فالعملية -إذن- ثلاثية الأطراف، وتكشف معنى جامعًا للمسارات الأخلاقية التي يقطعها الفاعل الأخلاقي، ويُقصَد بالجزاء الأخلاقي "تحقُّق الشعور الداخلي بالمتعة أو الألم"[56].

النيَّة والدوافع: النيَّة ركنٌ مهمٌّ في النظرية الأخلاقية القرآنية، ويمثِّل الوجه الداخلي للضمير الأخلاقي، وهو الأساس الذي يقوم بدور الدافع الباطني نحو الخير الأخلاقي، ولأهمية هذا الدور جاء التأكيد على عنصر النيَّة في العديد من النصوص الشرعية وهذا الركن يتضمَّن ثلاثة أجزاء أساسية تتجلَّى في: "إدراك ما يجري عمله، وإرادة إنجاز العمل، واستهداف ذات العمل من حيثُ إنه مأمور به وواجب"، ومن هذا المدخل فقد تفوقت النظرية الاخلاقية الاسلامية على النفعيين في مبدأ البواعث على الفعل الأخلاقي؛ لأن الأخلاق تتأسَّس على النوايا والبواعث الأخلاقية؛ وهي التي تمنح الفعل قيمتَهُ الأخلاقية، ومكانتَهُ ضمن قواعد الأخلاق العليا في المجتمع، جاعلة من الإنسان كائنًا أخلاقيًّا ذا إرادة مشبعة بالخير، تجاه الذات وتجاه الغير، ولكن على العكس من ذلك نجد مذهب النفعيين لا يهتمُّ بالمقاصد والنوايا، وإنما هَمُّه النتائج والغايات، حيث حوَّل الأفعال الأخلاقية إلى مجرد السعي وراء الوسائل المؤدية إلى اللذَّة، دون أي اعتبار للقيم الإنسانية العليا[57].

الإلهي، وطريق داخلي وهو قواعد القانون الأخلاقي، ففي أكثر صورها شمولًا مسجلة ومركوزة في نفوسنا بشكل ما، ومن الشروط كذلك أن يكون العمل الإرادي متصورًا في ذهن صاحبه بالطريقة نفسِها وبوجهة النظر ذاتها التي تصورها عنه الشرع، ومنها الحرية: فلا معنى للفعل الأخلاقي الذي لا ينبع من الإرادة الخالصة،. انظر: نورة بوحناش، "ما بعد الأخلاق..."، مجلة نماء، العدد 4-5، 2018م، ص143-144.

54- محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة، 1998م)، ص2.

55- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، (القاهرة: دار المعارف)، ج1، ص53.

56- ولابد من الاشارة إلى أن الجزاء القانوني يختلف عن الجزاء الأخلاقي: فالأول ذو أثر مادي خارجي، بينما الثاني يعتمل في الجانب الشعوري الباطني في الغالب. فـ"المتعة والألم اللذان نحسُّ بهما بعد أن نفعل خيرًا أو شرًّا هما ردٌّ فعل لضميرنا على ذاته أكثر من أن يكون ردَّ فعل للقانون علينا، وبالعودة إلى النصوص الشرعية، نجد أنها أصل لهذه العلاقة الجزائية بين الفعل الأخلاقي وبين رد فعل الضمير؛ فالنفس تغمرها سعادة روحية عند أدائها لواجب خُلقي، وتشعر بلوم باطني عندما تقترف عملًا غير أخلاقي، فليس يكفي أن يقال إن الخير يطهّر القلب ويقوّي الإرادة ويدعمها، وإن الشرّ يفسد النَّفْسَ ويدنّسها؛ ذلك أن أثرهما يذهب إلى ما هو أبعد بما لهما من انعكاسات وأصداء على قوى النفس، فكل قوةٍ من قوانا النفسية تتلقى نصيبها من الجزاء الأخلاقي، حتى على مستوى الذكاء، فإن اضطراب الهوى يصدئ مرآة الفكر، ويشوّه إدراكها للحقيقة، لقوله تعالى: {كَلّا بَلْ رَانَ عَلى قُلوبِهم ما كانوا يَكْسِبونَ} [المطففين: 14]، في حين أن التوازن الناشئ عن فعل الخير الأخلاقي يجعل الإنسان قادرًا على تمييز الحق والباطل، والحسن والقبح[60]، قال الله تعالى: {يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا إِنْ تَتَّقوا الله يَجْعَل لَكُمْ فُرْقاناً} [الأنفال: 29]،

57- انظر: توشيهيكو ايزوتسو، المفهومات الأخلاقية الدينية في القرآن، ترجمة: عيسى العاكوب، (سوريا-حلب: دار الملتقى، 2008م)، ص66.

المطلب الثاني: نقد الفلسفة النفعية الغربية من خلال السيرة الاخلاقية للإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)

يقول تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا) (الفرقان/ 43) يتحدّث الباري عزوجل في هذه الآية الكريمة عن قضيّة نفسية هي من أهم وأخطر القضايا في حياة الإنسان، وهي أزمة الأنانية وعبادة الذات، إذ إنّ معظم مشاكل الإنسان وأزماته النفسية والسياسية والإقتصادية والاجتماعية تعود إلى الأنانية وعبادة الذات وإنّ حب الذات غريزة مركوزة في أعماق الإنسان، وهذا الحب والإعتناء أمر مشروع عندما يكون التعبير عنه صحّياً وسلميّاً، فمن حق الإنسان أن يحبّ الخير لنفسه، ويدفع الأذى والضرر عن ذاته، ويُحقِّق لها التفوّق والمقبولية في المجتمع.. غير أنّ هذا الحب للذات يتحول عند البعض إلى حالة مرضية، وعدوانية، واستحواذ على كلّ شيء، وإلغاء للآخر وحرمانه حتى من حقوقه المشروعة وإنّ هذه السلوكية المرضية هي من مصاديق عبادة الذات التي تحدث عنها القرآن[58]، ويتحدث القرآن عن الحسد كأحد أبرز مظاهر الأنانية إذ انه كما يُعرِّفه علماء الأخلاق: (تمنِّي زوال نعمة من مستحقّ لها)، إنّه تمنِّي زوال نعمة الآخرين؛ ليكونوا أقل منه، أو ليتراجعوا، ويخسروا ما عندهم، فيكونوا مثله[59] ويتحدث القرآن عن أبرز تجسيد للأنانية وعبادة الذات في قصة يوسف مع إخوانه كما يتحدّث في موقع آخر عن أبرز مظاهر الأنانية والحسد التي تجسّدت في قابيل الذي قتل أخاه هابيل، لا لجرمٍ جناه هابيل، غير أنّه تُقُبِّل منه عمله (نذره الذي نذره)، فتفوّق على قابيل.. فدعت قابيل أنانيّته، إلى أن يقتل أخاه هابيل..، إنّ أبشع صورة لمأساة الأنا وعبادة الذات يرويها لنا القرآن نموذجاً حيّاً للأنانية البشعة، وبهذه الحوادث التأريخية المعبِّرة عن أنانية الإنسان وحسده، وتحوّل الأنانية والحسد إلى إنتقام وعدوان.. يقدِّم لنا القرآن درساً تحليلياً للنفس البشرية الأمارة بالسوء، وعندما تستحكم سيطرة الأنا والأنانية على الذات، وتُصاب الشخصية بمرض النرجسية وعبادة الذات، يتحوّل سلوك هذه الشخصيات إلى ردود أفعال، وتعامل منطلق من هذه الرؤية، عندما يستولي الغرور والكبرياء على ذاته وتصرفاته، فيتحوّل إلى طاغوت في أعماقه.. حتى وإن كان لا يملك إمكانات الطاغوت بمعناه التسلطي والإمكاني ولخطورة هذه المشكلة النفسية والسلوكية على الإنسانية نرى القرآن يُحذِّر ويُثقِّف على التخلص منها.. وتركيز الدعوة إلى حُبِّ الآخرين، وحُبّ الخير لهم، كما هو حبّ الذات، وحبّ الخير للذات.. بل والتسامي نحو الإيثار، وتقديم الآخر على النفس[60]، وإنّ ثقافة القرآن تُربِّي الإنسان المسلم على التوازن بين حُبّ الذات وحبّ الخير للآخرين إنها تسعى لتحرير الإنسان من الأنانية والنرجسية، وربط هذا التوازن بالإيمان، بل ويدعو القرآن، ويُثقِّف على الإيثار(الغيرية)، وهو تقديم الغير على النفس، كما في قوله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا) (الإنسان/ 8-9)، ففي الآية الكريمة يعرض القرآن الكريم نماذج وحوادث واقعية قد اتّصفت بالإيثار وتجردت من الأنانيّة.. إنّه يعرضهم مثلاً أعلى للإقتداء بهم، واستلهام سيرتهم والقرآن يدعو إلى الإيثار ويدعو الى العمل التطوّعي يدعو إلى مساعدة الآخرين والتعاون معهم، وإلى الإندماج بالجماعة والتفاعل مع المجتمع وبذا يُحرِّر الذات من الأنانية والإهتمام بالآخر وبذا تجد الذات التعبير السليم عن ذاتها.. فكلّ ما يفعله الإنسان من خير للآخرين، وتنازل عن مكاسب الذات الدنيوية، سيعود على الذات بالنفع الأعظم يوم الحساب.. وبذا يحصل التوفيق بين الأنا والآخر.. ذلك لأنّ التنازل عن الذات هو لصالح الذات[61].

58- وائل حلاق، إصلاح الحداثة، ترجمة: عمرو عثمان، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى 2020م)، ص33.

59- انظر: مصطفى بن محمد حلمي، مرجع سابق، ص142. انظر: محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، مرجع سابق، ص14-15.

60- وائل حلاق، "سجالات الدولة المستحيلة: ردود وتعقيبات"، ضمن ملف "الشريعة والعلمانية والدولة: نحو آفاق جديدة"، مركز نهوض للدراسات والبحوث، 2022م، ص191.

61- د. عادل حرب بشير اللصاصمة، تحقيق مبدأ الأثر النفعي في ضوء السنة النبوية الشريفة: دراسة استقرائية تحليلية للمظاهر الفوائد والمعوقات، جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية الزرقاء الجامعية، الأردن، مجلة جيل الدراسات المقارنة العدد 16 الصفحة 11.

الانا والاخر في سيرة الامام السجاد علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) وأدعيته:

كانت الأدعية التي توجّه بها الامام زين العابدين (عليه السلام) ليست مجرد جُمل تحقق له مناجاة الذات الإلهيّة والتحبب إليها بقصد نيل رضاها، بل كان لها دوراً أرضياً لا يقل عن دورها وهي تتوجه إلى السماء، ونقف أدعية الامام السجاد - عليه السلام- في صحيفته المعروفة مثالا رائعا في تجسيد تلك الوظيفة، والأئمة المعصومون هيمنت على أفكارهم رؤية الإصلاح وشغلت تفكيرهم مسألة إعداد الإنسان وبنائه لاستيعاب غايات خلقه التي لا يمكن الوصول لجدواها الحقيقية بسهولة ويسر، وبذلك تكتسب الذات من هذه الطريقة في البناء والتربية أمرين هامين هما شعورها بالمساواة والنديّة للآخرين من ذوي الشأن تحت خيمة العدالة الإلهيّة التي ساوت بين العبد والسيد بالخِلقة وفرّقت بينهما بتقوى الله، وبهذا يتحقق أمرها الثاني وهو: إحساسها بقيمتها كذات لها حقّ العيش تحت عدالة أقرّتها السماء أصلا وإن لم تتحقق واقعا على الأرض كـ دعاؤه (عليه السلام) في الرهبة مثلاً، وتتوسع (أنا) الإمام في بعض الأدعية كـ(دعاء الثغور) لتصبح (أنا) جماعية ذائبة في بوتقة الأمة ملتزمة بقيمها وثوابتها وهي تواجه المحن والشدائد المختلفة كخطر الأعداء الذين يتربصون بالإسلام وأهله في حروبهم الشرسة للحط من قيمة المسلمين كأمة لها الحق في طريقة العيش والرأي والسلوك، وإن كانت هذه الأمة تحت إمرة الجائرين والظلمة الذين عاصرهم الإمام وذاق من عنتهم واستبدادهم الأمرّين، وبعض الأدعية المتعلّقة بالهموم الكونية والإنسانيّة المعروفة، كالمرض والفقر والموت والمصير الذي يتلوه، وما ينطوي عليه من أهوال، تأخذ طابعاً اجتماعياً وإن انطلقت من ذات فردية واحدة، فالإمام يقدّم همّه الشخصي الخاص على أنّه همّ عام لكل المسلمين، محققا بهذا وحدة فكرية بين أفراد المجتمع، أساسها وحدة العقيدة التي تجعل الله مسبب الأسباب هو المرجو في كل مصيبة، وهو من يحمي المجتمع المعتصم بحبله، كما أنّه يضع من خلال ذلك الأسس اللازمة للتعاطف والمودة والمحبة بين الناس، بغضّ النظر عن مستوياتهم وأحوالهم، ولذا لا تصبح استغاثة الإمام من مرحلة ما بعد الموت، وبكائياته (ذاتيّة) أو (نرجسيّة) بالمعنى السلبي، بل على العكس، تصبح ذات الإمام مرايا لذوات الآخرين[62]، يجدون عبرها ما يعبّر عن ذواتهم وهمومهم ومخاوفهم، وإن تقديم تلك المعاناة البشرية لا يتم بالطبع بشكل ساذج، بل بطريقة تعلّم الآخرين كيفية مخاطبة الذات الإلهيّة عند الحزن والشدة والرهبة والخوف..إلخ من الأدعية المثبّتة بالصحيفة، بحيث تتحول معها ذات الإمام إلى جسر للآخر، وإن كان مخالفاً (غير مسلم)، فكم من النصارى والصابئة والمجوس فتحوا صدورهم للإسلام بعد سماعهم كلمات الإمام التي تنفذ في كلّ قلب ورع[63].

الروح الغيرية لدى الامام زين العابدين (عليه السلام) // عادةً نحن إذا وجدنا شخصًا معطاء، نتساءل ما الذي يدعو الإنسان للبذل وللعطاء بلا مقابل؟ إذ ان هناك نظريات عدة في هذا المضمار، النظرية الأولى: تتحدث غريزة حب الذات، يقولون: هذا الإنسان لأنه يحب ذاته يعطي بلا مقابل، لأنه إذا أعطى بلا مقابل اكتسب سمعة، وهو يحب السمعة، كذلك اكتسب ثوابًا، والثواب يخدم ذاته، النظرية الأخرى" نظرية الفناء": هذه نظرية تعني أن هذا الإنسان إذا ربي من صغره و منذ طفولته على أن يعطي على أن يكون كريمًا، **والنظرية ثالثة: نستفيدها من الإمام زين العابدين "صلوات الله وسلامه عليه" ألا وهي نظرية الامتداد الوجودي ونظرية الروح الغيرية،** وامتداد الوجود يعني أن يشعر الإنسان أن وجوده يشمل غيره، فغيره جزءٌ منه، وجزءٌ من كيانه، لذلك يتألم لغيره، يتحسس لغيره، يفرح لغيره، يحزن لغيره، الغير جزءٌ منه، وهذا ما يقرره القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ فمعنى كلمة الرحمة هي معنى كلمة امتداد الوجود، هي معنى كلمة الروح الغيرية، النبي ينفع الآخرين لا بدافع حب الذات، ولا بدافع الفناء، بل بدافع أن الآخرين جزءٌ منه، جزءٌ من ذاته[64]، فهذا الإنسان

62- محمد رضا الجلالي، جهاد الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، بيروت: المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، 1431هـ/ 2010م، ص 141.

63- المصدر نفسه، ص142 – 150.

64- د. عادل حرب بشير اللصاصمة، تحقيق مبدأ الأثر النفعي في ضوء السنة النبوية الشريفة: دراسة استقرائية تحليلية للمظاهر الفوائد والمعوقات، جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية الزرقاء الجامعية، الأردن، مجلة جيل الدراسات المقارنة العدد 16 الصفحة 11.

خُلِقَ وعنده وجود امتدادي وروح غيرية، لذلك آثار هذه الروح الغيرية تتجلى في عدة أمور، تتجلى في عدة صور: ومن هذه الصور هو علاقة الامام زين العابدين (عليه السلام) مع الفقراء إذ كان الإمام (عليه السلام) اذا جاءه الفقيرَ يقبله ويبتسم ويقول: مرحبًا بمن يحمل زادي إلى الآخرة، ثم يناوله نفقته، و لولا أنه يشعر أن الفقراء جزءٌ منه لما تعامل معهم هذه المعاملة، والصورة الأخرى للغيرية هي قيمة الرحيل إذ كان الإمام زين العابدين كان يركز دائمًا على الموت، على ذكر الموت، كان يقول: "وما لي لا أبكي ولا أدري إلى أين مصيري وأرى نفسي تخادعني وأيامي تخاتلني وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت، " إذ كان يركز الإمام على ذكر الموت؟ وكأن الامام (عليه السلام) يقول: بأن ذكر الموت عاملٌ إيجابيٌ على العطاء وليس عاملاً سلبيًا، إذ ان الإمام زين العابدين عندما يركز على ذكر الموت يركز على النظرية الواقعية، على أن نقرأ واقعنا أننا راحلون، أننا مسافرون، والإمام يركز دائمًا على النظرة الواقعية، يقول: "اللهم لا ترفعني درجة عند الناس إلا حططتني في نفسي مثلها" يعني: الهالة الإعلامية التي حولي، فلان عظيم، فلان كريم، هذه الهالة الإعلامية لا تخرجني عن النظرة الواقعية لحجمي، أنا أقرأ حجمي قراءة واقعية أكثر مما يقرؤني الناس، إذ ان البناء الأخلاقي للأمة هي قضية مهمة؛ وحتى هذا اليوم الإمام، وبما ترك من آثاره، يقوم بهذا الدور، ودعاء مكارم الأخلاق هو عبارة عن بناء أخلاقي للأجيال المُتعاقبة، فمكارم الأخلاق هذه ثروة نحن نملكها ولا يملكها الآخرون؛ وهذا هو البناء الروحي والفكري والنفسي والأخلاقي للأمة، ليس في ذلك الوقت، أو في مكان معيّن، وإنما على مدى الأزمان، وقد سمعنا مراراً من الخطباء قاعدة (النموذج الأخلاقي) الذي كان يمثله الإمام السجاد؛ الخادم يقتل ابن الإمام السجاد، إذ يأخذ جفنة، فتسقط على ابن الإمام السجاد فيحترق ويموت فيرتعد الخادم، الإمام يقول له: لا، تخف، ثم في نهاية القضية يقول له أنت حرٌّ لوجه الله[65].

الإيثار الاقتصادي _ الاجتماعي للإمام زين العابدين (عليه السلام): ومثال على احد صور الايثار الاخرى في الجانب الاجتماعي هو الايثار لسد الحاجة الاقتصادية للأفراد والجماعات، إذ مدح النص القرآني هذا الفعل الاجتماعي والاقتصادي في آن واحد، وكان من أجلى صوره هو فعل المعصوم في كل أدواره وتنوّعاته، وقد تمثّل بفعل الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) بصورة رائعة في إظهار العلاقة الاقتصادية في هذا الفعل وأثره في البناء الاجتماعي، في حين نبحث هنا عن تقديم مصلحة الآخرين على المصلحة الشخصية في ضوء المبنى المختلف عن أصالة الفرد والفردانية والأنا والذات إلى فلسفة الآخر ونكران الذات لدى الفلسفة الاخلاقية النفعية الغربية، فالإمام يتصرَّف كفاعل اجتماعي واقتصادي نحو الثقافة الشعبية[66]، أي الممارسة المعطاة والمجانية إلَّا من الله سبحانه وتعالى، وهذا هو الضمير الديني أي الخفاء في القول والفعل؛ لأنهما يتعاملان مع كرامة الإنسان، إن التصدُّق السِرّي في كل ليلة صفة من صفات الإمام علي بن الحسين، ولم يعرف إلَّا بعد مماته(عليه السلام)، إذ إن حصول أثر شاخص على حبل عاتقه كشفه ابنه بعد مماته، قائلًا: «أما إنه ما يعرف ما هو غيري، ولولا أنه مات لما ذكرته...»، وإن كتمان يد الإيثار والمحبة والرحمة كانت هاجس جميع الأئمة على مختلف أدوارهم، وتبعهم بعض أصحابهم، فهذه الممارسة الفعلية توحي بجوهر الفعل الديني والتديني في علو مستواه التطبيقي، إذ يرسم لوحة جوهر الدين في مبتغاه، وخاصة أن فاعله إمام من أهل العصمة، وهي عبادة من نوع آخر تهتم بالمجموع، ولا تهتم بالأنا، وتمثّل جوهر الدين وأساسه، وكانت المدينة المنورة وبالخصوص الفقراء تنعم باليد الخفية من أمام معصوم لا يُكلِّف غيره في هذا الفعل، بل يفعله بنفسه، إذ كانت هذه البيوت مفعمة بأمل صدقة السر، ذكر القاضي النعمان: «أنه كان بالمدينة عدّة بيوت يأتيهم قوتهم من علي بن الحسين (عليه السلام) ولا يدرون من أين يأتيهم ذلك، فما عرفوا ذلك حتى مات وانقطع عنهم، لأنه كان يُسِرُّ ما يرسله إليهم رجاء ثواب صدقة السِّر، وقيل: إن تلك البيوت حصيت فوجدت مائة بيت في كل بيت جماعة من

65- الجلالي، جهاد الإمام السجاد، ص 142.

66- المجلسي،المولى محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار،(ط2، مؤسسة الوفاء،لبنان،بيروت، 1403هـ - 1983م)ج33،ص19.

الناس»[67]، يروي اليعقوبي (292هـ) في تاريخه أنه لما توفي الإمام علي بن الحسين «وجد على كتفيه جَلب كجلب البعير، فقيل لأهله: ما هذه الآثار؟، قالوا: من حمله الطعام في الليل يدور به على منازل الفقراء» كان الإمام يختار الليل كزمان للتخفي، هذه الممارسة الإنسانية، بل هي أعلى مستوى من الفعل الإنساني والفعل الثقافي في الممارسة، لأن الفعلية والتمكّن منها هيمنة وسيادة على كل غرائز النفس الطامحة والطامعة، وبذلك فقد عني الإمام زين العابدين (عليه السلام)، من خلال سيرته العطرة، ببناء المجتمع الإسلامي بناء عقائديا وأخلاقيا عناية بالغة[68]، سيما في الفترة التي أعقبت فاجعة الطف، بسبب ما وصل إليه حال المجتمع آنذاك من انهيار في الجانب العقائدي والأخلاقي، وابتعاد الناس عن دينهم من جراء سياسات الحكم الأموي التضليلية، التي حملت معول الهدم على القيم الأخلاقية والعقائد الحقة، فانبرى (عليه السلام) إلى إصلاح المجتمع وتثبيت العقائد الحقة وتهذيب الأخلاق بالقول والفعل، وقد استطاع الإمام (عليه السلام) وهو في قيد المرض، ورهن الأسر الأموي والإقامة الجبرية، أن ينشر أهداف الثورة الكبرى التي فجرها أبوه سيد الشهداء(عليه السلام) وذلك بالسعي إلى إصلاح المجتمع الإسلامي، وبث روح التدين والأخلاق الفاضلة فيه. فتمكن ـبرغم العقبات والصعوباتـ أن ينشر الحياة في جسد الأمة الذي دبت فيه أمارات الموت، بسبب ابتعاده عن قيم الإسلام[69]، والاستسلام لسياسة التجهيل والتضليل الأموي لشل حركة المجتمع الإسلامي، وتعطيل تفكيره، وأخلد إلى الراحة وطلب العافية، وكانت الخطة الإصلاحية للإمام زين العابدين(عليه السلام) تعطي الأولوية لتدارك ما أصاب الأمة من ابتعاد عن القيم الروحية، وسلوك الاتجاه المادي البعيد عن كل ما يمت للآخرة بصلة، وضرب الإمام زين العابدين(عليه السلام) أروع الأمثلة في تجسيد الخلق المحمدي العظيم في التزاماته الخاصة، وفي سيرته مع الناس، بل مع كل ما حوله من الموجودات، كذلك من أهم الجهود التي بذلها الإمام زين العابدين (عليه السلام) في تحركه القيادي هو ما قام به من جمع صفوف المؤمنين، والتركيز على تربيتهم روحيا، وتعليمهم الإسلام، وإطلاعهم على أنقى المصادر الموثوقة للفكر الإسلامي [70]، ومن خلال روافده الثرة الغنية، بهدف وصل الحلقات، كي لا تنقطع سلسلة عقد الإيمان، ولا تنفرط أسس العقيدة، فمن اخلاقه (عليه السلام) عن عبد الرزاق، قال: جعلت جارية لعلي بن الحسين تسكب عليه الماء يتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه، فشقه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عز وجل يقول:(والكاظمين الغيظ)، فقال لها: قد كظمت غيظي. قالت: (والعافين عن الناس) فقال لها: قد عفا الله عنك. قالت: (والله يحب المحسنين). قال: اذهبي، فأنت حرة، ولعملية الإعتاق للعبيد والإماء على يد الإمام (عليه السلام) صور مثيرة أحيانا، تتجاوز الحسابات المتداولة: ففي الحديث المتقدم عن سعيد بن مرجانة [71]، وجدنا أن الإمام (عليه السلام) قد أعتق غلاما اسمه (مطرف) وجاء في ذيل الحديث، أن عبد الله بن جعفر الطيار كان قد أعطى الإمام زين العابدين (عليه السلام) بهذا الغلام (ألف دينار) أو (عشرة آلاف درهم)، ففي إمكان الإمام (عليه السلام) أن يبيع الغلام بهذا الثمن الغالي، ويعتق بالثمن مجموعة من الرقيق أكثر من واحد، ولكن الإصرار على إعتاق هذا الغلام بالخصوص - مع غلاء ثمنه - يحتوي على معنى أكبر من العتق: فهو تطبيق لقوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) [آل عمران: 92] وهو إيماء إلى أن الإنسان لا يعادل بالأثمان، مهما غلت وعلت أرقامها،

67- المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسينu،(ط1،المكتبة الحيدرية، العراق، النجف الاشرف،1423)ص272 القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام،(ط2، موسسة الامام المجتبى، ايران، قم،1394 هـ - 1974 م)ج2،ص 161

68- الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الأصول من الكافي، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري(ط3، دار الكتب الاسلامية، طهران، 1388 هـ)ج1، ص35

69- القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج 2، ص161.

80- الصدر، محمد باقر، اهل البيت القدوة والدور التاريخي، تحقيق: عبد الرزاق هادي الصالحي(اهل الذكر للطباعة، ايران، قم،1429)ج2،ص636.

71- القرشي، باقر شريف، حياة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، (ط1، موسسة الامام المجتبى، ايران، قم،1394 هـ - 1974 م)، ص665.

ولعل السبب الأساسي هو: أن غلاء ثمن الغلام لا يكون إلا من أجل أدبه، وذكائه، وحنكته، وقوته، وغير ذلك مما يجعله فردا نافعا، فإذا صار حرا، وهو متصف بهذه الصفات، يفيد المجتمع ككل، فهو أفضل - عند الإمام (عليه السلام) - من أن يكون عبدا يستخدمه شخص واحد لأغراضه الخاصة، مهما كانت شريفة، وبهذا واجه الإمام زين العابدين (عليه السلام) مشكلة الرق في صالح المجتمع والدين، وعن روائع الحكم القصار للإمام زين العابدين (عليه السلام) فإنها تمثل الإبداع، وتطور الفكر، وأصالة الرأي، وتحكي خلاصة التجارب التي ظفر بها الإمام في حياته، وهي لا تقتصر على جانب خاص من جوانب الحياة، وإنما كانت شاملة لجميع مناحيها[72]، إذ يقول (عليه السلام): (نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة والمحبة عبادة..) أي إن الإسلام حث على المحبة والألفة، وحرم الاختلاف والفرقة، ومن الطبيعي أن نظر المؤمن إلى أخيه المؤمن بلطف وعطف، مما يوجب شيوع المحبة، وتوثيق الصلة بين المسلمين، وهو من أفضل أنواع العبادة في الإسلام، ويقول (عليه السلام): (بئس الأخ يرعاك غنياً، ويقطعك فقيراً..)، وهذا ذم واضح من الإمام (عليه السلام) للإنسان الذي يكون نفعي ويستغل أخيه والرجل الذي يتودد لأخيه أو صديقه في حال غناه وثرائه، وينبذه إذا صار فقيراً، فإن ذلك ينم عن الانتهازية، وفقدان الشرف والكرامة من الإنسان، كما كان الإمام (عليه السلام) يحث شيعته وأصحابه على المواساة والإحسان فيما بينهم لأنه خير ضمان لوحدتهم[73]، واجتماع لكلمتهم، وقد أثر عنه كثير من الأخبار من ذلك قوله (عليه السلام): (إن أرفعكم درجات، وأحسنكم قصوراً وأبنية - يعني في الجنة - أحسنكم إيجاباً المؤمنين، وأكثركم مواساة لفقرائهم، إن الله ليقرب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة طيبة يكلم بها أخاه المؤمن الفقير، بأكثر من مسيرة ألف عام يقدمه، وإن كان من المعذبين بالنار، فلا تحتقروا الإحسان إلى إخوانكم، فسوف ينفعكم حيث لا يقوم مقام غيره..) [74] إذ حث الإمام (عليه السلام) على مواساة الفقراء والإحسان إليهم، وذكر ما يترتب عليه من الأجر الجزيل عند الله، وعد من المواساة الكلمة الطيبة التي يقدمها الإنسان المسلم لأخيه، لأنها مما توجب شيوع المودة والألفة بين المسلمين، كما قال الإمام (عليه السلام): (من بات شبعاناً وبحضرته مؤمن جائع طاو فإن الله تعالى يقول لملائكته: اشهدوا على هذا العبد أمرته فعصاني، وأطاع غيري، فوكلته إلى عمله، وعزتي وجلالي لا غفرت له أبداً..) [75]، ويعد هذا الحديث وأمثاله مما أثر عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من العناصر الرئيسة في بناء التكافل الاجتماعي الذي أسسه الإسلام، والذي يقضي - بصورة جازمة - على الفقر والحرمان، إذ إن الإسلام بكل اعتزاز وفخر يعتبر الفقر كارثة اجتماعية مدمرة، يجب القضاء عليه بكل السبل والوسائل، وقد حشد جميع أجهزته لإبادته، وإنقاذ المجتمع منه، ومن ذلك قوله (عليه السلام): (إني لأستحيي من ريب أن أرى أخاً من إخواني، فاسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدينار والدرهم، فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنة لك لكنت با أبخل، وأبخل، وأبخل..) [76]ويحكى هذا الحديث عن مدى تعاطف الإمام (عليه السلام) أمام

72- الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي،الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية (مؤسسة البعثة – قم، 1417 هـ)ص547.

73- الحر العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة(ط2،مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، 1414 هـ)كتاب النكاح، الباب (26) الحديث (4) تسلسل (25060) ولاحظ العقد الفريد، للأندلسي (3: 360 – 364).

74- د. عادل حرب بشير اللصاصمة، تحقيق مبدأ الأثر النفعي في ضوء السنة النبوية الشريفة: دراسة استقرائية تحليلية للمظاهر الفوائد والمعوقات، جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية الزرقاء الجامعية، الأردن، مجلة جيل الدراسات المقارنة العدد 16 الصفحة 11.

75- القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج 2 / ص161.

76- كما قال (عليه السلام): (من قضى لأخيه حاجة قضى الله له مائة حاجة، ومن نفّس عن أخيه كربة نفّس الله عنه كربه يوم القيامة، بالغاً ما بلغت، ومن أعانه على ظالم له، أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الأقدام، ومن سعى له في حاجة حتى قضاها له فسر بقضائها، كان كإدخال السرور على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن سقاه من ظمأ، سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن كساه من عري، كساه الله من إستبرق وحرير، ومن كساه من غير

قضايا البر والإحسان، وحثه عليهما، ومما لا يخفى إن هذه التعاليم الرفيعة التي أعلنها الإمام (عليه السلام) مما توجب تضامن المسلمين وشيوع المودة والرحمة والتعاطف بينهم، وقال (عليه السلام): (يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما يكون، وأجوع ما يكون، وأعطش ما يكون، فمن كسى مؤمناً في دار الدنيا كساه الله من حلل الجنة، ومن أطعم مؤمناً في دار الدنيا أطعمه الله من ثمار الجنة ومن سقى مؤمناً في دار الدنيا شربة، سقاه الله من الرحيق المختوم..) [77]إن الإسلام يحرص كل الحرص على إبادة الفقر والبؤس، ونفي الحاجة من المجتمع الإسلامي وقد ضمن الجزاء الأوفى في دار البقاء لمن يقوم بإسعاف أخيه وبره، إن هذه المبادئ التي رفع شعارها الإمام (عليه السلام) تمثل جوهر الإسلام وواقعه ولو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لكانوا سادة الأم والشعوب، ومن الوصايا الاخلاقية التي تعود بالمنفعة على نفس الانسان وذاته اولا ومن ثم تعود بالمنفعة على مجتمعه ثانياً هو صلة الأرحام إذ حث الإمام (عليه السلام) على صلة الأرحام، وحذر من قطيعتها، وذلك لما يترتب عليها من المضاعفات السيئة، قال (عليه السلام): (من سره أن يمد الله في عمره، وأن يبسط له في رزقه فليصل رحمه، فإن الرحم لها لسان يوم القيامة[78]، ذلق تقول: يا رب صل من وصلني، واقطع من قطعني، فالرجل ليرى بسبيل خير إذا أتته الرحم التي قطعها فتهوى به إلى أسفل قعر في النار..) إذ تواترت الأخبار عن أئمة الهدى (عليهم السلام) في الحث على صلة الأرحام، وإنها توجب العمر المديد للإنسان، والمزيد من الرزق، والأجر الجزيل في الدار الآخرة فإنها توجب تماسك المجتمع، وشيوع المودة والصفاء بين المسلمين، وذلك من أهم ما يدعو إليه الإسلام، كما دعا الإمام (عليه السلام) المسلمين إلى التحاب، والمودة فيما بينهم في الله تعالى خالصة لا يشوبها شيء من شؤون المادة التي لا تلبث أن تتلاشى[79].

عري لم يزل في ضمان الله ما دام على المكسي من الثوب سلك، ومن كفاه ما أهمه أخدمه الله من الولدان، ومن حمله على راحلة بعثه الله يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة يباهي به الملائكة، ومن كفنه عند موته كساه الله يوم ولدته أمه إلى يوم يموت، ومن زوجه زوجة يأنس بها، ويسكن إليها آنسه الله في قبره بصورة أحب أهله إليه، ومن عاده في مرضه حفته الملائكة تدعو له حتى ينصرف، وتقول: طبت، وطابت لك الجنة.. والله لقضاء حاجته أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام..).

77- المفيد، بو عبد الله، محمد بن محمد العكبري، الاختصاص، (انتشارات جماعة المدرسين، قم – إيران، د.ت) ص64.

78- القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج 2 / ص161.

79- البرقعي، أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد، كتاب المحاسن، عنى بتصحيحه والتعليق عليه: جلال الدين الحسيني(دار الكتب الاسلامية، طهران،1370 = 1330)ج2،ص420

الخاتمة

يتضح مما سبق أن العلاقة التي سادت الفكر الغربي هي علاقة الأنانية والإطاحة بالغير، بينما كانت مساحة إفساح مكان للآخر والتكامل معه هي الاستثناء، ولذلك بدت دعوات الغيريّة كدعوات طوباوية أكثر منها دعوات قابلة للتنفيذ في الواقع الفعلي، ولم تكن في أصلها سوى ردود أفعال على توحش الأنا وقسوتها تجاه الآخر، ولم يختلف الأمر في العصور الحديثة والمعاصرة؛ إذ عبّر هوبز عن علاقة الصراع والخوف بين الأنا والآخر في عبارة «الإنسان ذئب لأخيه الإنسان»، وجعل ديكارت الأنا منغلقة على ذاتها، تعيش نوعاً من العزلة الأنطولوجية والإبستمولوجية، في حين تحدث كانط عن صورة مثالية للصداقة كعلاقة ممكنة بين الأنا والآخر تؤسس على مبادئ أخلاقية وعقلية وكونية، لكنه أقّر بأنّه من الصعب أن تتحقق في صورتها المثلى على أرض الواقع، أما سارتر فقد جعل «الآخرين هم الجحيم بعينه»، و أن العلاقة بين الأنا والآخر قائمة على الصراع والهيمنة، لتتجلى في النهاية دعوات الغيريّة عند أصحابها من الغربيين ما هي إلا نظرات طوباوية تنشد بناء مشاريع فكرية وهميّة تستمد قوتها من غواية الخير والرغبة في بناء مدن فاضلة لا وجود لها على أرض الواقع الفعلي، عمومًا يختصّ المشهد الأخلاقي الراهن، بتعدد سياقاته وتنوعها، بكثرة تصوّراته الفلسفية؛ مما أحدث نموًّا مطّردًا للفكر الأخلاقي، بحثًا عن المرجعية بين عقلانية ونفعية، والحقّيقة أن هذا الكدّ في النظر الأخلاقي، لم يكن سوى تجلٍ لفقدان المرجعية التأسيسية للقيم الأخلاقية، خاصّة وأن الفضاء المرجعيّ الغربي، قد التحم بالعدميّة، حيث غادرت المعاني والقيم مواقعها، ولم يعد الإنسان إلا أنا تفكر انطلاقًا من إنّيتها، فاقدة للسند المرجّح للمعنى، لتهيم على وجهها، و رمى بها إلى هذا العالم في عتمة العدم، تجهل كل شيء عن وجودها بدايته ونهايته، تشكّلت فجوة كبيرة بين ثقافتنا الإنسانية حول القيم، وفي يومنا هذا يواجه الفكر الإسلامي المعاصر جملة من التحديات، ومنها التحدي الأخلاقي، الذي تجلّى في تراجع أثر القيم الأخلاقية الدينية في حياة الأفراد والجماعات، في مقابل طغيان القِيَم المادية على كثيرٍ من قطاعات الحياة؛ إذ أصبحت الحقبة المعاصرة تُوصف بحقبة "ما بعد الأخلاق، وأمام هذا الوضع الأخلاقي أضحى البحث في سؤال المرجعية النظرية للأخلاق الإسلامية ذا أهمية كبرى؛ فهو المدخل المنهجي إلى صياغة مبادئ وأسس نظرية للأخلاقية الإسلامية -انطلاقًا من المرجعيَّة النصيَّة- تكون بمثابة معايير نظرية مرجعية تُؤسَّس عليها تقنيات أخلاقية جديدة، وآليات عملية قادرة على التشابك مع الوضع الجديد لمرحلة ما بعد الأخلاق، وإن تأسيس الإطار النظري للأخلاق الإسلامية اليوم أضحى عملًا ضروريًّا من أجل بلورة "تقنيات ذات أخلاقية جديدة للعمل الأخلاقي؛ لتزكية الجانب الباطني للإنسان الذي عَظُمت سقطته الأخلاقية اليوم، على أن الأخلاق القرآنية لا تزال قادرة على تخليق الإنسانية، حتى "لو افترضنا أن الإنسانية سوف تغيّر ظروف حياتها إلى ما لا نهاية، فإننا نؤمل أن تجد في القرآن -أنَّى توجهت- قاعدةً لتنظيم نشاطها أخلاقيًّا، ووسيلة لدفع جهدها، ورحمة للضعفاء، ومثلًا أعلى للأقوياء، ولن يتأتى ذلك ما لم نفتح باب الاجتهاد الأخلاقي لصياغة آليات أخلاقية معاصرة بناءً على أُسس نظرية متينة.

و بعد هذه الجولة السريعة في مفاهيم المنظومة الاخلاقية وفقاً لما جاء في سيرة اهل البيت (عليهم السلام) المعصومين والمتمثلة بالإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) ومن خلال تتبع أفعال الامام من خلال سيرته العملية والتي هي حجة علينا كونها (السنة الفعلية / العملية) التي اوصانا الله عزوجل بالرجوع اليها، لذلك علينا أن نعتمد الفعل المعصومي وندرك أثره الأخلاقي والإيثار الذي تجسد في حياته المباركة و بكافة مسمياته الاجتماعي والاقتصادي نظم دينية تبيّن أثر الدين في تنمية قدرات المجتمع في الاجتماع والاقتصاد والقدرات البشرية، وفي اطار المفهوم الأخلاقي النفعي للنفس وللآخرين ينطلق الإمام زين العابدين عليه السلام من حق النفس إلى ما يتفرع عنها، فيقول: "وتخرج الحقوق منك إلى غيرك"، وهي الحقوق المترتبة على العلاقة مع الآخرين، وقد قسَّمها الإمام زين العابدين عليه السلام إلى أقسام بقوله: "وأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك"، يبين الاهتمام بكل ما يحيط بالإنسان على المستوى الفردي والاجتماعي؛ لتتلاقى مساراته المختلفة على منظومةٍ واحدة، والمنفعة بالصورة المتماسكة، ما يجعل الأداء الإنساني في أفضل نماذجه البشرية، وقد انطلقت الرسالة من الحقوق والمنفعة المشتركة، كواجبات تجاه الآخرين، بخلاف المنظومات المادية التي تحرّض على الحقوق كمكتسبات ومنفعة مادية، وتحاول تحرير الإنسان من الواجبات، بإطلاق العنان لحريته الشخصية؛ ليغرف من الملذّات من دون حساب، وأخيراً فإنّ في سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام) أكثر من عالَمٍ منفتح على الله وعلى الإنسان والحياة، وأكثر من أفق منطلق بالفكر والروح والشعور والحبّ الإلهيّ والعرفان الروحي، وأكثر من مساحة مليئة بالقضايا الأخلاقية والأجواء الإنسانية والمناهج الحركية، ورسم لنا خارطة البناء الاخلاقي الروحي للانسان سواء من خلال حقوقه مع ذاته ام مع الاخرين لتكون احاديثه وخطبه وحكمه القصار هي السراج الذي ينير ظلمات الفلسفات الغربية الاخلاقية التي ذهبت اما

بالافراط او التفريط في حق النفس او حق المجتمع والآخر سواء كانت بالنظرية النفعية او النظرية الانانية المادية المحضة التي من خلالها صادروا الحقوق للعامة.

خِتاماً وفي نهاية هذه الدراسة... فالكمال لله تعالى والعصمة لأهلها، لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بخالص الشكر ووافر الامتنان الى السادة أعضاء اللجنة العلمية الموقرة على رعايتهم هذه الدراسة وجهودهم الكريمة في مراجعتها وإبداء الملاحظات العلمية القيمة والسديدة عليها والتي ستغني الدراسة وتقومها، آملين من الله العلي القدير أن أكون قد وُفقت في هذه الدراسة وتمكنت من إعطاء البحث حقه ولو بالشيء اليسير، راجيةً منه تعالى أن يتقبل هذا الجهد المبذُول بقبولِهِ الَحسِن، وأن يجعله عِلْماً يُنتفع به، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1. وجد البحث وعلى خلاف ما قصده أصحاب المذهب النفعي (مل) الذي اعتبر الأخلاق علما وضعيا وليس معياريا ونقل موضوعة من وضع المثل الأعلى الذي يسير بمقتضاه السلوك الأخلاقي الإنساني إلى وصف سلوك الإفراد في مجموعة بشرية مرتبطة بزمانها ومكانها، وارجع قيمة الفعل إلى ما يحقق لصاحبه من منفعة، كما أكده الاتجاه البرجماتي المعاصر الذي نعتبره امتداد طبيعي لهذه الفلسفة، والذي يغفل الكثير من الناس آثارها السلبية الوبيلة بل العالم بأسره، فهو يسعى إلى الاهتمام بالمصلحة " المنفعة " الوطنية في إطارها الغربي الضيق، فالأشياء كل الأشياء نسبية بزعمهم وما أراه قبيحا هو عند غيري حسن، فالإنسان ليس حسا خالصا ولا عقلا محضا، ولكنه يجمع بينهما، ولا تستقيم حياته الصحية بدونهما مجتمعين، غير أننا نعطي نسبة كبيرة لأخلاق المبادئ اعتبار أن من صفاتها الحقيقية الثبات والضرورة والعموم، لا النسبية.

2. مما وجده البحث ان تكامل النفس يقتضي الإبقاء على قوى حسية كانت أو عقلية، مع تمكين هذه القوى من أجل أن تؤدى وظيفتها الطبيعية بتوجيه العقل وتدبيره، وهذا ما أكده الدين الإسلامي الحنيف الذي أقام شريعته جملة وتفصيلا على تحقيق مصالح الناس أفرادا وجماعات، ومنع المفاسد من حياتهم الخاصة والعامة.

3. توصل البحث الى ان الأنانية تكون ايجابية مرة وتكون سلبية مرة اخرى، فتكون سلبية حين تكون متعلقة بذات واحدة ترى نفسها فوق الجميع، و رغبتها فوق رغبات كل المحيطين بها وترى في نفسها علوًا على الباقين، و لكنها إيجابية جدًا إذا أمكن استغلالها جيدًا و تهذيبها بتحويل (الـذات) إلى كيان يشترك مع ذوات الآخرين و يتفاعل معهم من خلال إضافة منهج لها يقودها و بالتالي الانسان و المجتمع للأفضل، فبدلاً من محاربة "حب الذات" و تصويره على أنه خطيئة يجب التطهر منها، وتحويله لحسنة تجلب النفع للإنسان ولغيره لأنه طاقة هائلة و جبارة فلابد من جعلها أداة ارتقاء له بتشذيبها.

4. توصل البحث أن أغلب الدراسات التي قدمت للبحث في الأخلاق الإسلامية قد اقتصرت في الغالب على دراسة الجوانب العملية للأخلاق باعتبارها "نصائح عملية، هدفها تقويم أخلاق الشباب، حين توحي إليهم بالاقتناع بالقيمة العليا للفضيلة"، وقد أغفلت الجوانب التنظيرية لمنظومة فلسفة الأخلاق الإسلامية، وحتى الإنتاجات التي حاولت أن تلامس ما عرف بـ "الأخلاق النظرية" فقد كانت محدودة؛ فلا تعدو أن تكون محاولات وصفية "لطبيعة النفس ومَلَكاتها، ثم تعريف للفضيلة وتقسيم لها، والبعض من هذه الدراسات وقعت في مأزق النَّهْل من مرجعيات أخلاقية أجنبية، كالمرجعية اليونانية وغيرها، وقامت بـ"تهميش المرجعية القرآنية" في التأسيس لعلم أخلاقي إسلامي.

5. مما نتج عن البحث إن الطبيعة الإنسانية، في تكوينها تقوم على أساس المبادئ والغايات، وأن نظرية الواجب الأخلاقي الكانطية قد طغت عليها الشكلية المحضة، خلافًا لنظرية الاخلاق الاسلامية التي يكون فيها الواجب الأخلاقي مقرونًا بقيمته الأخلاقية، إضافةً إلى أن النقد الذي وجه الى أفكار نظرية كانط انتهى إلى أن كانط لم يستوعب أخلاق الواجب جيدًا، ووصف صنيعه بأنه "خلط...بين الإلزام والنيَّة، بين علم الأخلاق وبين السلوك الأخلاقي، وقد دعانا الخطاب القرآني في العديد من أوامره إلى تحريك إرادتنا الأخلاقية نحو تحقيق القِيم العليا، وقد مضى القرآن الكريم إلى حد أن أدخل فكرة هذا الجهد المبدع في تحديد عناصر الإيمان الصادق نفسه.

6. مما توصل اليه البحث ان فعل الخير ذو الأثر النفعي المتوارث له ثمار وفوائد وآثار جمة، يعود خيرها على المنتفع، وفضلها على الباذل والمتصدق؛ وهذا تأكيد لعمومية رسالة الإسلام؛ بكونه دين معاملة عالمي إنساني النزعة، يركز على التطبيق الواقعي، ويحقق مبادئ الرحمة والتآلف، لذلك لابد من التعرف على سعة النظرة الرحيمة، وتفعيلها في حياه المسلم؛ ليعم خيره وينتشر أثره على الناس جميعا؛ وتصحيح الفكرة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين، وأنه دين ذو جوانب معيارية تطبيقية، وتصحيح فهم الغرب والعرب عن الفكرة الغالطة أن الإسلام دين عنصري أو فئوي، يهمش الناس ويعزز الطبقية، ومن المعروف أن المجتمعات الإسلامية تتميز بالمحبة والتآخي والإخلاص، ومقاومة الأهواء، وأن الإيثار والتضحية والشهامة من أخص أخلاق المسلمين، وأن الأنانية والنفعية أخلاق وافدة على أمتنا قد غزتها بعد أن ضعف وازع العقيدة ودواعي الإخلاص.

7. تبين من خلال البحث ان النفعية أخلاق غربية بنيت على مذاهب فلسفية تنسجم مع تطلعات أصحابها ومعتقداتهم وتصوراتهم عن الحياة والإنسان، وهي أخلاق دخيلة غريبة على أمتنا، لابد للمربين والدعاة إلى الله أن يهتموا بمعالجة هذه الظاهرة من خلال التربية والتوجيه وبإيضاح النماذج الرائدة عند سلف هذه الأمة، وأن يضرب الدعاة والمربون من واقع حياتهم أمثلة صادقة بالمعايشة والقدوة الحسنة، حيث إن النفعيين والانتهازيين خطرهم جسيم، في المؤسسات التجارية والعلمية والدعوية، لأنهم سيتجاوزون كل القيم في سبيل مطامعهم

وطموحاتهم، ومن تمعن في أحداث التاريخ أسعفته الشواهد، والعاقل من اتعظ بغيره، والحذر يجنب صاحبه المزالق والندم قبل فوات الأوان.

8. مما تبين من خلال البحث كانت صدقة السر من قبل الامام (عليه السلام) هي لمنفعة الآخرين وليس للنفع الشخصي، كما هو في اليد الخفية المحرّكة لعوائد المجتمع وهي تعدّ ضابطة من ضوابط القانون الديني والتزام من التزاماته، ويد العطاء من المعصوم هي اليد الخفية في فعل الخير لزيادة عوائد الآخرين بعيدًا عن الذات والفردنة، وتأكيدًا لنظرية الصالح العام، وتركيزًا لنظرية الجماعة والأمة مقابل النظرية الفردية في الفكر الغربي، والابتعاد عن النفعية في مثل هذه السلوكيات.

9. مما نتج عن البحث إن قضية عتق الإماء والعبيد حالة متميزة في حياة الإمام السجاد إذ كان (عليه السلام) يشتري بأموال ويعتق بغيرها اعتزازا بالإنسان وكرامته مع ان بعض الاماء ربما يسيئون التصرف، فتكون المكافأة العتق هو الإيثار بالأموال كرامة وصدقات دينية تعبّر عن الاقتصاد الديني، وهذا هو الإيثار الديني الذي يجب أن نتعلّمه بل نجعله مؤسسة خيرية تكافلية وتعاونية، هذه هي أهداف الفعل الديني الاجتماعي والاقتصادي، بعيدًا عن الادِّخار والاستثمار والإفراط في الاستهلاك.

10. مما وجده البحث إن مسألة الفائض عن الحد ربما يخلق مجتمعًا متميّزًا، أو مأسسة الفرائض من الضرائب لشريحة الفقراء تهيئ القاعدة الفرحة في بناء المجتمع، كان الإمام (عليه السلام) يعطي الفائض وغيره لشريحة الفقراء المحتاجين، وهذا هو الفعل الديني في بناء الإنسان والمجتمع، بخلاف حالة النزعة المسيحية التقشّفية كمظهر من مظاهر التديّن، فإن النزعة الإسلامية نحو تقديس العمل وعبادة الإنفاق الديني على الأسرة والمجتمع لتخفّف حدّة الصراع والكراهية بين شرائح وطوائف المجتمع وإفراده.

التوصيات

1. عمل دراسات مستقلة ومكثفة ومعمقة حول الجوانب النفعية التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتفعيل الثقافة الاسلامية الاصيلة في حل المشكلات المجتمعية، وإقامة الدورات والندوات حول فوائد عمل البر، وتحصيل الأجر وتحقيق الأثر النفعي لهم، ونشره في الأرجاء ليعم وينتشر، وتشجيع إقامة المؤسسات الداعمة للمشاريع الإنتاجية، وتفعيل دورها لفعل الخير.
2. أمام هذا الخلط بين المرجعيات الأخلاقية، ينبغي ان يكون لدينا نموذج أخلاقي نظري معاصر نابع من القرآن الكريم، يصلح أن يكون نسقًا أخلاقيًّا قرآنيًّا خالصاً تأسس على خمسة أركان رئيسة هي: الإلزام الخلقي، والمسؤولية الأخلاقية، والجزاء، والنيَّة والدوافع، والجهد المبدع.
3. لابد من ان ننتج نظرية متكاملة في الأخلاق النظرية، جديرة بأن تكون أساسًا نظريًّا للأبحاث والدراسات التي يمكن أن تُنجز في مجال الفكر الأخلاقي الإسلامي المعاصر، إذ تكون هذه النظرية في الأخلاق في جانبها النظري دراسة جديدة، جديرة بأن تكون أرضية صلبة للنقاش الأخلاقي الإسلامي المعاصر، بحيث نعتمد في مثل هذه الدراسة على مرجعية القرآن الكريم خاصَّة.
4. إن ما ينبغي أن يتجه إليه التفكير الأخلاقي اليوم هو إبداع تقنيات جديدة للتخلُّق العملي تنقل الإنسان المعاصر إلى طريقة عيش جديدة، تمنعه من حبِّ السيطرة والتسيُّد أو مجرد التفكير فيهما، ومن هذا المدخل يدافع علماء الاخلاق الاسلامين عن قدرة نموذج التجربة الاخلاقية الدينية المؤيَّدة على إصلاح مآزق الحداثة الغربية، وهي تجربة أخلاقية نَظَّر لها بعض الفلاسفة العرب المسلمين المعاصرين مثل طه عبد الرحمن، وهي تجربة ذات بُعْد باطني تهدف إلى إصلاح النظام الأخلاقي الداخلي لدى الإنسان المعاصر، تراعي كافة الجوانب: الحسي المادي و الجانب الأخلاقي الروحي.

المصادر

1. ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي. كتاب قضاء الحوائج. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1413ه.
2. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. جامع العلوم والحكم. (ط1). بيروت: دار المعرفة،.2006
3. ابن فارس، أحمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، 1979.
4. أبو النصر، مدحت، فن ممارسة الخدمة الاجتماعية. القاهرة: دار الفجر، 2009.
5. أرسلان، الأمير شكيب. لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟ (ط2). بيروت: دار مكتبة الحياة.
6. الإرشاد، اللجنة العلمية في مكتب الدعوة. مقالة: نفع الآخرين. شبكة الألوكة، 2018.
7. الإسلامية، مجلة البحوث. الإهابة بالمسلمين لمساعدة إخوانهم في افريقيا، مجلة البحوث الإسلامية ـ مكة المكرمة، 1405.
8. الإسلامية، مجلة البحوث. مؤتمر: إحياء رسالة المسجد، وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية لكويتية. (ط2). الكويت: دار السلاسل، 1427.
9. الحر العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة(ط2،مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، 1414 ه) كتاب النكاح، الباب (26) الحديث (4) تسلسل (25060) ولاحظ العقد الفريد، للأندلسي (3: 360 - 364).
10. الحازمي، ماجد بن عبد الله. قيم العمل التطوعي وتطبيقاتها من منظور التربية الإسلامية. مجلة البحث العلمي في التربية عدد18، 2017.
11. الخرشي، عبد السلام. فقه الفقراء والمساكين في الكتاب والسنة. بيروت: مؤسسة الرسالة، 2003.
12. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن. سنن الدارمي. تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي. (ط1). بيروت: دار الكتاب العربي، 1407.
13. الدباغ، مصطفى. الإسلام فوبيا: عقدة الخوف من الإسلام. (ط2). عمان: دار الفرقان، 2001.
14. الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. (ط2). الرياض: دار طيبة، 1999.
15. الدوسري، مسلم بن محمد. قاعدة المتعدي أفضل من القاصر، تأصيلا وتطبيقا. جامعة محمد بن سعود الإسلامية كلية الشريعة، 2016.
16. الزومان، أحمد. النفع المتعدي. مقال شبكة الألوكة، 1431.
17. الزيادات والسكر، عماد ومحمد (2008). حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم في الفقه الإسلامي؛ دراسة فقهية مقارنة. مجلة دراسات جامعة آل البيت، مجلد5، عدد2، 2008.
18. الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الأصول من الكافي، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري(ط3، دار الكتب الاسلامية،طهران، 1388 هـ)ج1.
19. السبحي، محمد عبد ربه. إحياء الأرض الموات في الشريعة الإسلامية. (ط1). المؤتمر العلمي الثاني كلية الحقوق، جامعة طنطا، 2015.
20. السدحان، عبد الله بن ناصر. فضل كفالة اليتيم. الشبكة العنكبوتية، 1421.
21. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، 1989.
22. الشريف، محمد موسى. التدريب وأهميته في العمل الإسلامي. (ط1). جدة: دار الأندلس الخضراء، 2000.
23. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام،(ط1، موسسة الامام المجتبى، ايران، قم،1394 هـ - 1974 م).
24. الشوابكة، عيسى. مقال: ما هو العمل التطوعي؟ الشبكة العنكبوتية، 2017.

25. الشوكاني، محمد بن علي. فيض القدير. عناية: يوسف الغوش. (ط4). بيروت: دار المعرفة، 2007.ا
26. لصوفي والظهراوي، حمدان عبد الله وجميل حسن. مفهوم نفع الآخرين في الإسلام ومدى تمثله لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة. الجامعة الإسلامية غزة كلية التربية، 2009.
27. العبدة، محمد. النفعية في ميزان الإسلام، محمد العبدة، العدد6، المجلس الإسلامي السوري: مقاربات مجلة فصلية، 2019.
28. العبسي، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة. المصنف. تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان. (ط1). الرياض: مكتبة الرشد، 2004.
29. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. التلخيص الحبير. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية، 1989.
30. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي. (ط3). بيروت: دار الهلال، 1408.
31. النملة، علي إبراهيم. العمل الخيري في ضوء التحديات المعاصرة. الشبكة العنكبوتية، 201
32. الهطالي، صالح بن مطر. العمل التطوعي، خطوات عملية للنهوض بالأمة. (ط1). الشبكة العنكبوتية، 2010.
33. الهلالات، خليل إبراهيم. معوقات العمل التطوعي في الأردن. مجلة دراسات الأردنية للعلوم الاجتماعية مجلد 11 عدد 1، 2018.
34. الوهيبي، صالح بن سليمان. العمل الخيري والمتغيرات الدولية: التحديات والأولويات والمستقبل، صالح بن سليمان الوهيبي، الشبكة العنكبوتية، 2004.
35. أنجيه، محمد سالم. إحياء ثقافة التطوع وبذل الجهد. السعودية: مجلة العلوم الاجتماعية، 1432.
36. بكار، عبد الكريم. ثقافة العمل الخيري: كيف نرسخها؟ وكيف نعممها؟ (ط1). منتديات مجلة الابتسامة. القاهرة: دار السلام، 2012.
37. بني حمد، إبراهيم فياض يوسف. قاعدة النفع المتعدي أفضل من النفع القاصر؛ دراسة تأصيلية تطبيقية. رسالة ماجستير. الأردن: جامعة اليرموك، 2018.
38. بوهبوة، مصطفى. مفهوم العمل الخيري وخصائصه في الشريعة الإسلامية مصطفى بوهبوة. الشبكة العنكبوتية، 2017.
39. الصدر، محمد باقر، اهل البيت القدوة والدور التاريخي، تحقيق: عبد الرزاق هادي الصالحي(اهل الذكر للطباعة، ايران، قم، 1429)ج2.
40. حمد، إبراهيم فياض يوسف. قاعدة النفع المتعدي أفضل من القاصر؛ دراسة تأصيلية تطبيقية. الأردن: مجلة أبحاث اليرموك، 2018.
41. حمزاوي، رياض أمين. المعوقات التي تواجه إدارة الهيئات الاجتماعية دراسة منشورة. الشبكة العنكبوتية، 1998.
42. خطاطبة، عدنان مصطفى. المنفعة المترتبة على السلوك الإنساني في السنة النبوية. مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة. الأردن: جامعة اليرموك كلية الشريعة،2007.
43. سلامة، مراد. العمل التطوعي في الإسلام. موقع الألوكة، 2016.
44. عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون، 1984.
45. مقاصد الشريعة الإسلامية. (ط2). تونس: دار سحنون، 2006.
46. عبد الجواد، أحمد عبد الوهاب. المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة. القاهرة: الدار العربية، 1991.
47. عبد ربه، مجدي محمد مصطفى. التحديات الإدارية التي تواجه الجمعيات الخيرية وسبل مواجهتها؛ دراسة تطبيقية على عينة من الجمعيات الخيرية في سلطنة عُمان، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية: مجلة جامعة السلطان قابوس، 2014.
48. عساف، أحمد محمد. قبسات من حياة الرسول، (ط6). بيروت: دار إحياء العلوم، 1405.
49. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين،(ط1،المكتبة الحيدرية، العراق، النجف الاشرف،1423).
50. المجلسي، المولى محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار،(ط2، مؤسسة الوفاء، لبنان، بيروت، 1403هـ - 1983م)ج33.

51. محمد رضا الجلالي، جهاد الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، بيروت: المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، 1431هـ/ 2010م.
52. محمود، المثنى عبد الفتاح. التطوع في القرآن الكريم، مفهومه وشروطه مجالاته تأصيله. مجلة دراسات الشريعة والقانون الأردنية المجلد 41، ملحق 1، 2014.
53. نوح، سيد محمد. توجيهات نبوية على الطريق، (ط1). القاهرة: دار اليقين، 2001.

المصادر الأجنبية المترجمة

1. زيغمونت، باومان، الحرية السائلة، ترجمة: فريال حسن خليفة، مراجعة: محمد سيد حسن، القاهرة: مكتبة مدبولي، د ط، د ت.
2. الأزمنة السائلة، العيش في زمن اللايقين، ترجمة: حجاج أبوجبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 2017.
3. الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج أبوجبر، مراجعة: هبة رؤوف عزت، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1 2016.
4. الأخلاق في عصر الحداثة، الحداثة السائلة، ترجمة: سعد البازغي، بثينة الإبراهيم، هيئة أبو ظبي للسياحة الثقافة، الإمارات العربية المتحدة، د ط، 2016.
5. داروين، أصل الأنواع، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 1991.
6. سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: عبد المنعم الحفني، د دار، د ط، د ت.
7. ميشال، فوكو، الانهمام بالذات، ترجمة: جورج أبي صالح، بيروت، لبنان مركز الإنماء القومي د. ت.
8. ميشال، فوكو، الكلمات والأشياء ترجمة مطاع الصفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، د ط، 1999.
9. كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، متبوع بأسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة فتحي الشنيطي، د طبعة 1991 موفم للنشر، الجزائر.
10. كانط، نقد العقل المحض، ترجمة: موسى وهبة، بيروت: مركز الإنماء القومي، د ط، د ت.
11. جيل، لوبفتسكي، عصر الفراغ - الفردانية وتحولات ما بعد الحداثة، ترجمة: حافظ أدوخراز، مركز نماء للبحث والدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 2018.
12. ألسدير، ماكنتاير، بعد الفضيلة ـ بحث في النظرية الأخلاقية، ترجمة: حيدر إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، 2013.
13. عبد الوهاب، المسيري، فتحي، التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق سوريا، د ط، 2003.
14. نيتشه، ما وراء الخير والشر، ترجمة: جيزيلا فالور حجار، دار الفارابي، بيروت لبنان، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، ط 1، 2003.
15. ليلي، وليام، مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة: علي عبد المعطي، المعارف بالإسكندرية، مصر، د ط، 2000.